

كُوسْتِي بَنْدَلِي

الجنس

وَمَعْنَاهُ الْإِنْسَانِي

طبعة رابعة منقحة ومزادة

مَنْشُورَاتُ النُّورِ

مقتطفات مما كتبه الاستاذ يوسف الخال عن كتاب « الجنس ومعناه الانساني » في طبعته الاولى

« ... من حسن حظ القاريء العربي ان يصدر كتاب في « الجنس ومعناه الانساني » ، لكوستي بندي . وجدت نفسي امام عقل راسخ في معرفة الاسس والاصول ، محرر من التزمت والتقليد ، منفتح على التيارات المعاصرة في مجمل تناقضها (...) .

« وكما افادني كتابه هذا عن الجنس . فمنه تعلمت مرة اخرى ان الجنس (...) ليس حاجة بيولوجية بحتة (...) وهو ، اذن ، لا يهدف الى ازالة التوتر عضوي فقط . انه « وصال » و « جباغ » مع الآخر ، يزيل العزلة التي يشكو منها الانسان ابدا (...) .

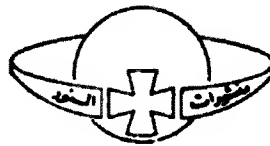
« وتعلمت ايضا ان « تحرير » الجنس في المجون المعاصر ما هو الا « عبودية » اقسى من عبودية الصمت والجهل والخوف (...) وكيف لا يكون ذلك حين يبطل الشخص الآخر ويصير التركيز على اللذة الجنسية والتهالك عليها كمية وتفننا ، لا نوعا وعاطفة . وهنا يدب السأم والفراغ (...) .

« وتعلمت من الكتاب ان الحب لا يبطل العلاقة الجنسية ، لكنه وحده يجمل منها « وصالا » لا احتكاكا خارجيا بين عزلتين متقابلتين (...) وما العفة سوى الحرص على ان يحتفظ هذا اللقاء بمرماه الاتحادي (...) فالعفة ليست سلبية تعني ، بالمفهوم التقليدي الموروث ، الخوف من الجنس ، والنجسية ، والكبت بجميع ممانيه وابعاده . فما هذه الا عفة زائفة (...) .

« وتعلمت آخر ، وهو الأهم ، ان الجنس سمي الى المطلق عن طريق الحب الذي فيه يتطور الجنس ويتسامى (...) على ان المطلق لا يدرك بالحب الذي يستقطبه (...) لذلك لا يقترن الحب بالسعادة فقط ، بل بالكآبة والحنين ايضا . وهنا يجيء دور الله . فهو « المشتكى بالحقيقة » كما تقول طقسية بيزنطية ، واليه نسمى في آخر المطاف حركة الجنس عند الانسان (...) .

« وبايصالنا الى الله ، ينهي كوستي بندي رحلته البهيجة المائنة في مجاهل الجنس وآفاقه الرائعة .

« وهي رحلة فريدة في نوعها ، على الاقل في تراث اللغة العربية » .



الفهرس

الصفحة

٥	مقدمة الطبعة الثانية
٧	المقدمة
٩	حواشي المقدمة
١١	الفصل الاول - الجنس في فرادته والتباسه
١٣	آ - هل الجنس حاجة بيولوجية بحتة ؟
٢١	ب - معاني الجنس عند الانسان
٣٤	د - اخفاق الجنس
٤١	هـ - بعض مظاهر اخفاق الجنس
٤٥	و - اخفاق الجنس في المجون المعاصر
٥٣	حواشي الفصل الاول
١٠٣	الفصل الثاني - الحب كتحقيق لمرمى الجنس الاتحادي
١١٠	آ - ميزات الحب
١١٥	ب - نشؤ الحب
١٣٩	ج - الزواج والحب

الصفحة

١٥١	حواشي الفصل الثاني
٢١١	الفصل الثالث - العفة كمحافظة على اصالة الجنس
٢١٤	آ - العفة الزائفة
٢٣٦	ب - العفة الحقة
٢٤٦	ج - مظاهر العفة
٢٥٢	د - تربية العفة
٢٦٣	حواشي الفصل الثالث
٣٠٩	الفصل الرابع - آفاق الجنس
٣١١	آ - الجنس كسعي الى المطلق
٣٢١	ب - اخفاق الجنس في بلوغ المطلق
٣٢٥	ج - الجنس سعي الى الله من خلال المخلوق
٣٣١	د - نظرة كتابية الى الجنس
٣٤٧	حواشي الفصل الرابع

الفصل الثاني

الحب كتحقيق لمرى الجنيس الاتحادي

هكذا فالوعد الذي يحمله الجنس ولا يفني به اذا عيش على صعيد الحاجة الغريزية وحسب ، لا سبيل لتحقيقه الا عن طريق لقاء الصميمي بين شخصين ، وهذا اللقاء هو الحب^١ . الحب وحده يحقق وعد الجنس ، لانه وحده يوفق بين ما فيه من متناقضات ، « بين الجسد والروح ، الأنا والآخر ، الحاجة الى الآخر وسخاء بذل الذات ... »^٢ . بالحب تتحقق الرغبة الجنسية ولكنها تتحول بأن لانها تكتشف ان الآخر الذي تسعى اليه لا يُمتلك كما تمتلك الاشياء ولكنه شخص حرّ يعطي ذاته اذا شاء^٣ . انه حركة يتجاوز بها الجنس ذاته باتجاه الآخر ، وبهذا يتجاوز وبه وحده يتحقق ما كان الجنس ، في ممارسته الترجسية (أي التي يسيطر عليها السعي الأناني الى اللذة) ، يصبو اليه دون ان يدركه ، الا وهو اللقاء بالآخر ، ذلك اللقاء الذي هو ، كما رأينا ، هدف الجنس بأعمقه . بالحب وحده يصل الجنس الانسان بالآخر مع المحافظة على استقلال كل من الشريكين ، لان التمييز ضمن الوحدة لا بد منه لكي يتم هناك تبادل وبالتالي لقاء : « مفارقة الحب تكن ، يقول اريك فروم ، في ان كائنين يصبحان واحداً ومع ذلك يلبثان اثنين »^٤ . ليس فيه اذاً تغييب للآخر كما في الشهوة بل تأكيد له ككائن آخر ، مستقل .

هذا الحب لا يبطل اهمية العلاقة الجنسية ولكنه وحده يجعل منها « وصالاً » لا احتكاكاً خارجياً (« احتكاك جلدین ») بين عزلتين متقابلتين^٥ . انه لا يبطل اللذة ولكنه يعطيها كل ابعادها اذ يجعلها منفتحة على ما هو اعرق منها وأبعد^٦ . بالحب اذاً يدرك الجنس حقيقته في حركة تتجاوز لذاته اي لطبيعته الغريزية^٧ . انه خلاص الجنس الذي لولاه ينقلب على نفسه وكأنه

يأكل ذاته حاكماً على ذاته بالفشل^٨ . هذه هي « طريق الاكتمال حيث يتحقق الحب بالجسد فيما يتجاوز الجسد ذاته بالحنان »^٩ .

اكتمال وتجاوز بآن : هذا هو الحب بالنسبة الى الجنس . لنا على تلك العلاقة نموذج رائع في رواية للكاتبة المعاصرة فرنسواز مالليه جوريس . بطلا الرواية نقولا ومارسيل تجمعهما لأول وهلة علاقة مركزة على المتعة الجنسية ، يحاولان بها دون جدوى ان ينسيا فراغها . ولكن الحب يشق طريقه في قلوبها ، واذا بها اخيراً يلتقيان^{١٠} : « ... لقد أحسن » (نقولا) بأن هذا الحرمان الدائم ، هذه الكتابة اللذين كان يثيرهما فيه جمال (مارسيل) منذ اليوم الاول قد سكتا . وانتابه شعور بأن هذا الجمال الهارب قد حطّ منذ قليل كطير قريباً جداً منه ، أقرب من أي وقت مضى ، وانه كان ينبغي الا يتحرك لئلا يخيفه . واذا بنوعية اتصالها الجنسي تتحول^{١١} لان الجسد تحرر من محدوديته واصبح مكان حضور شخصين ولقاءهما : « لقد كان هذا الجسد الساكن يُشعّ حضوراً عذبا ... »^{١٢} . واذا باللذة تصبح مدخلا الى ما هو أعمق منها وابعد : « ... لقد كانت السلذة بعيداً ، بعيداً جداً وراءهما ، يسمعاها كموسيقى خافتة ... »^{١٣} . واذا بالاستهلاك يزول ليحلّ مكانه اتصال بالآخر ومن خلاله بالوجود قاطبة : لقد احسن نقولا « بقوة لم يكن له عهد بها من قبل ، لا الطعام الثقيل الذي كان يشبعه ويثير اشمئزازه بآن ، بل الدنو من جمال وتأمله ، جمال يسام وينصر هو فيه ، عند ذاك ينظر الواحد الى الآخر بقدر ما يملكه ، واذا بالعالم كله في تلك النظرة ، استدارة التلال وطعم الارض القوي والبارد عندما يحفر المرء عميقاً ، هذا السرّ ، المعادن المطمورة التي يحس الانسان بوجودها دون ان يراها . . »^{١٤} .

ذلك الاتصال بالكون من خلال المحبوب ، عبّر عنه الشاعر
نفرنسي المعاصر بول الوار بتلك الأبيات :

« لقد أتيت ...

« فتغيّر معنى الأرض والبشر ...

« أتيت ، كنتُ كئيباً ، قلتُ نعم

« انطلاقاً منك 'قلتُ نعم للكون '»^{١٥}

في رواية سهيل ادريس « الحي اللاتيني » نجد ايضاً وصفاً
لهذا اللقاء الذي يتم اذا تجاوز الجنس ذاته بالحب . فان بطل
الرواية ، بعد ان عاش مغامرات جنسية صرفة عادت بالخبية
عليه ، صادف الحب اخيراً في شخص جانين مونرو . واذا به
يختبر في الرغبة ما يتجاوز الرغبة ويعيش ما عبّر عنه نيتشه
بقوله : « في الحب الحقيقي ، الروح تغلف الجسد . »^{١٦} :

« ... ونهض عن كرسيه ، فجذب جانين اليه ، ومهمهم
باسمها مغمض العينين ، فيما كانت شفتاه تطبقان على شفتيها .

« وأحس من نشوة هذه القبلة بمثل الخدر . شعر بأن كيانه
كله تجمّع في شفتيه ، فالتصق بشفتي جانين كأنما ينزع الى الفناء
فيها . لا ، لم يكن ينبض فيه عرق من شهوة ولا احساس من
إحتياج . كأن روحاً تعانق روحاً »^{١٧} .

هكذا بالحب وحده تتخذ العلاقة الجنسية كل ابعادها ، لانها
تصح لغة تخاطب^{١٨} . قد يبدو لأول وهلة ان الاتصال الجنسي
هو هو في الحب وخارج الحب . ولكن هذا وهم . فالكلمة ،
اذا حللناها فيزيائياً ، هي مجموعة أصوات وحسب ، ولكن
فراقتها ، ما يميزها قطعياً عن أي صوت ، هي في كونها صوتاً

ذا معنى . هكذا بالحب تتحول العلاقة الجنسية بالكلية لأنها تتخذ معنى ، تصبح لغة يتصل بها كائنات بشريان على صعيد أكثر صميمية من مستوى « لغة الكلام » . وكما ان الكلام الاصيل يتميز عن الثروة في كونه ينقل معنى فيما الثروة « كلام من اجل الكلام » ، كلام فارغ ، هكذا يتميز الجنس الذي يلهمه وبسكنه الحب عن ذلك الذي يتخذ ذاته غاية فيفقد معناه واصالته^{١٦}.

هذا الحب الذي به يحقق الجنس مرماء الانساني الاتحادي هو ما يعطي الجنس قيمته الخلقية بأن: هنا نعود الى السؤال الذي طرحناه في مقدمة هذا الكتاب ، الا وهو ما هي أسس مناقبية الجنس . لقد بين فرنسوا شيرباز ان الاخلاق لا تضاف الى الجنس لتنظمه بموجب نواميس خارجية ، انما تنبع المقتضيات الخلقية من طبيعة الجنس الانساني نفسها . لذا فالدفاع عن الاخلاق والمنادي بالاباحية مخطئان كلاهما اذ ينظران الى الجنس على انه مجرد نزعة غريزية ذاتية لا تتجاوز حدود الفرد ، فيطلق لها الثاني العنان فيما يخضعها الاول لقواعد غريبة عنها . ولكن كلاهما ينسى ان تلك النزعة الجنسية توق في الانسان للانفتاح الى آخر . فاذا انطلقنا من هنا ، لم تعد الاخلاق مجموعة شرائع تفرض على الانسان بصورة كيفية ، وبالتالي يكون رفضها تحملاً من قيود ، انما الاخلاق هي التعبير عما ينبغي للانسان ان يتبعه من قواعد اذا شاء ان يحقق اصالته الانسانية ، وبالتالي يكون رفضها تنكراً لتلك الاصلة واجرام للانسان بحق نفسه . لذا فالهاجس الخلفي فيما يخص الجنس ، انما هو تحقيق اصاله الجنس الانسانية وحسب . يقول فرنسوا شيرباز : « جوهر الهاجس الخلفي هو المحافظة ، في العمل الجنسي ، على الحضور الانساني ، هو افساح المجال

لظهور ما يريد ان يعبر عن ذاته من خلال ذلك العمل . ليس
للهاجس الخلقى ان يضاف الى الجنس ليعطيه طابعاً خلقياً : انما
له ان يفسح المجال لظهور المعنى الانساني الذي يسكن في الجنس ،
بجمل الكلام ان عليه ان يجعل اللقاء الأصيل بين الواحد والآخر
ممكناً^{٢١} . ويصل بيار انطوان الى النتيجة نفسها عندما يقول :
« بتقييمنا الجنس على هذا المنوال ، علينا ان نقرّ اذاً ان
متطلبات مناقبية الجنس هي اساساً متطلبات الحب نفسه وانه
لا يمكن ان يكون هناك متطلبات أخرى »^{٢٢} .

مناقبية الجنس كائنة اذاً في ارتقائه الى صعيد الحب ، في
التأليف بين الحب والغريزة ، حسب تعبير الفيلسوف الشخصاني
المعاصر جان لاكروا : « الحب دون الغريزة طوباوي ، الغريزة
دون الحب أباحية »^{٢٣} . بهذا المعنى ايضاً كتب فيلسوف شخصاني
معاصر آخر ، دنيس دي روجمون : « ان العمل الجنسي ليس
بجد ذاته خيراً ولا شراً . ان درجة الحب الحقيقي وحدها
(الحب المشخص ، المرتبط بالشخص) تمكن من تقييم العمل
الجنسي . واني لا أرى مقياساً آخر لا يرتبط بهذا المقياس أو
لا يُرَدّ اليه »^{٢٤} .

آ - ميزات الحب^{٢٥}

فلنحاول الآن ايجاز ميزات هذا الحب الذي به يصبح الجنس مكاناً للقاء . برأينا ان من أبرز هذه الميزات اولاً ان الحب يعتبر الآخر مهماً بحد ذاته ثم انه يكتشف الآخر في فرادته ويتمهده في بعده الزمني :

١ - انه يعتبر الآخر مهماً بحد ذاته :

ذلك ان اعتبار الآخر مجرد اداة او ذريعة للمتعة الذاتية تغييب لشخص الآخر وبالتالي انعدام للقاء . يقول فرنسوا شيرباز ان الجنس يدعو الى لقاء الآخر في كيانه الشامل والى الرفض القطعي بأن يُعتبر الآخر مجرد حجة مغفلة للذاتي . فاذا انكرت الرغبة محدوديتها ... لم تعد مجرد سعي الى الذات . لم تعد مجرد انتظار اللذة الذاتية . انها انتظار لقاء في اللذة ، لقاء في لذة هذا الآخر . واذا بهذا الجسد يكشف عن ذاته ، تحت نظر الرغبة ، على انه حضور . ان الآخر هو الحاضر وليس

جسد من الاجساد ، فالعلاقة اذاً دون^{٢٦} لا ينتهي من هذا الآخر ...»^{٢٦}

٢ - انه يكتشف الآخر في فرادته :

هكذا فاعتبار الآخر مهماً بحد ذاته يقتضي اعتباره كائناً فريداً . اذا كان التركيز على الاستهلاك والمتعة فسيبان بين هذا الموضوع الجنسي او ذاك اذا كانت المتعة واحدة ، كما انه سيان بين لفاقة تبغ واخرى اذا كانت اللذة واحدة . اما اذا اعتبر الآخر مهماً بحد ذاته ، وهذا شرط للقاء كما قلنا ، فلم يعد ممكناً ان يُقاس بالمتعة وحدها وان يصنف مع غيره تحت قاسم المتعة المشترك . هذا هو الفرق بين المحون والحب . فالمالجن يسعى الى « الانوثة الابدية » فيجدها في نساء عديدات ، لانه لا ينظر الى كل منهن كألى شخص فريد بل كمثلة للجنس الذي يهواه ، كمناسبة لبلوغ النشوة التي يقصدها ، لانه بالفعل لا يهوى الا نشوته ، الا ذاته . انه عاشق كبير ، ولكنه كبطل الاسطورة القديمة نرجس ، عاشق لذاته^{٢٧} . وقد يعبر عن هذا العشق النرجسي بتغزل سافر بنفسه على طريقة عمر بن ابي ربيعة :

« قالت الصغرى ، وقد تيمتها :

قد عرفناه ، وهل يخفى القمر ؟ » .

النساء اللواتي تتألف منهن « مجموعات » لسن سوى صور تعكس كلها ، بأشكال متنوعة ، رغبته ، انهن مجرد اجساد يمكن استبدال احدهن بأخرى كما تستبدل تفاحة بتفاحة مع اختلاف بالنكهة فقط . من نظرة كهذه كانت تشكو فاليري ،

احدى بطلات اندره مالرو ، عندما قالت لعشيقتها : « انني
ايضاً هذا الجسد الذي شئتني ان أكونه فقط. »^{٢٨}. اما الحب
فهو على نقيض هذا الموقف . في نظر المحون الآخر مجرد جسد ،
اما في نظر الحب فالآخر وجه أي ما يعطي الجسد طابعاً
شخصياً^{٢٩}. انه ذات حسب تعبير الفيلسوف المعاصر كبريال
مادينييه : « ان نحب هو ان نريد الآخر ذاتاً » . في نظر
المحون سيان بين نساء عديدات لأن السعي هو الى الجنس من
حيث هو ، من خلال تعدد اشكاله . اما في الحب فالجنس كله
ينحصر في شخص فريد حسب قول الشاعر : « ايتها المرأة
الفريدة انك بالنسبة لي النوع كله »^{٣٠} لذا فالحب بطبيعته واحد ،
لا يقبل التعدد^{٣١}!

٣ - انه يتعهد الآخر في بعده الزمني^{٣٢} :

ومن جهة أخرى اذا كان الحب سعيًا الى شخص الآخر ،
فلا بد له ان يتعهد هذا الآخر في بعده الزمني ، التاريخي ، لان
الشخص يحيا ويستمر ويتحقق في الزمن . لذا فالحب يتطلع
بطبيعته الى المستقبل ، ينزع الى الديمومة^{٣٣} ، لا بل ان رغبة
الحب العميقة هي معايشة الآخر الى الابد ، حسب تعبير
الفيلسوف الوجودي المعاصر كبريال مارسيل : « ان يحب المرء
كائنًا هو ان يقول له : انت لن تموت »^{٣٤} ، ذلك التعبير الذي
ينطبق على الحب بمعناه العام كما ينطبق عليه بمعناه المحصور ،
معناه الجنسي ، الذي نحن بصددده . هذا الحب بين رجل
وامرأة ، حتى اذا ظهر بأشكال هزيلة ، سريعة الزوال ، ينزع
في انطلاقة الى الابدية^{٣٥} ، فيخطط للمستقبل^{٣٦} ويعمل نفسه بسعادة

لا تنتهي . هذا ما تعبر عنه الهدايا التي يتبادلها المحبان ، وهي من مواد ثمينة كالذهب واللؤلؤ تصمد في وجه الزمن وترمز الى ديمومة الحب^{٣٧} .

هنا ايضاً يتجلى الفرق بين الحب والمجون . « فالحب يرسم في الزمن ، اما المجون ففي اللحظة »^{٣٨} . الماجن لا يرى في الاخر سوى ظرف للمتعة ، ولذا فإنه لا يقيم معه سوى علاقة عابرة كقيلة بأن تمنحه تلك اللحظات الممتعة التي ينشدها . فاذا قضى منه وطره ، أهمله وتحول الى غيره . هذه شيمة النزعة الجنسية اذا لم تتجاوز عنصرها النرجسي . اذا كان الآخر غير موجود بنظري بحد ذاته بل بالاضافة الى حاجتي وحسب ، فمن الطبيعي ان اتجاهل وجوده بعد ان اقضي حاجتي منه^{٣٩} . اذا كان الآخر مجرد شيء 'يستهلك' ، فمن الطبيعي ان يتغلى المرء عنه بعد حين ، لانه امر طبيعي ان يسمى المرء الى التنوع في ما يستهلكه . ان القول الشعبي معبر جداً عن هذه المعادلة التي يجعلها المجون بين الجنس والاستهلاك . فيقال عن فلان انه شاء ان « يغير على ضرره » وانه لم يشأ « ان يأكل مجردة كل يوم » . هكذا يُعتبر الشخص الآخر مادة استهلاك ويُنحدر بالجنس الى مستوى حاجة غريزية بحثة كالحاجة الى الطعام ، مما يشكل احتقاراً للآخر وتشويهاً للجنس بأن . ولكن الماجن يبقى أسير عزلته رغم مغامراته العديدة ، لانه مهما تعددت المغامرات لا يجد في كل واحدة منها سوى نفسه 'وحدود لذته الذاتية' ، واذا يجزع الفراغ ينتابه بعد نشوة عابرة (هذا اذا لم يخدر حاجته العميقة الى الملء والمعنى) فيعيد الكرة وكأنه بتعدد المغامرات يستطيع ان يحطّم الدوامة التي هو أسيرها^{٤٠} . عن هذا الفراغ يعتبر احد ابطال الروائي المعاصر هنري فرنسوا

راي ، اذ يقول ان أعمق رغباته هي ان يذوب ويضيع لكي
يحنّب نفسه مشقة التفكير في تفاهة وجوده ، وان اتصالاته
الجنسية انما هي الوسيلة التي يعتمد عليها ليجد الضياع المنشود^{٤٢} .
ولكن هذا الضياع الوقتي في النشوة تتبعه يقظة مريرة وشعور
بالعزلة مقيم^{٤٣} . اما الحب الحقيقي فشيمته الاستمرار لانه تركيز
على اللقاء لا على اللذة ، واللقاء لا يتم الا اذا التزم الشريكان
البعد الزمني الملازم لهما كشخصين . لحظة الجماع لا تحقق اللقاء
الا اذا كانت جزءاً من تاريخ مشترك يمتد ، حسب رغبة الحب
العميقة ، على العمر كله . الحب ، في اصلته ، علاقة بالآخر لا
تنفصم . صحيح انه في الوضع الانساني الراهن لا يسعه ان يحافظ
بشكل دائم على مستواه . كل حب ، مهما عمق ، يعرف لحظات
فتور وملل وعداء ، ولكن ارادة الانسان تلعب دورها هنا
لتجبر عثرات الشعور وتساعد الحب على تحقيق قصده العميق رغم
نزوات العاطفة^{٤٤} . في هذا التعاون الوثيق بين شعور يغذي الارادة
وارادة تضبط المشاعر للمحافظة على استمرار الحب ، في هذا
التعاون والتناغم يكن الحب الانساني الأصيل . هذا هو معنى
الوعد الذي يتبادله الهبان ، ذلك الوعد الذي يتفرد به النوع
الانساني ، لان الانسان ، كما قال نيتشه ، يمكن تحديده بمقدرته
على ان يعد^{٤٥} .

ب - نشوء الحب

هذا الحب الذي به يتحقق معنى الجنس العميق هو بأن غاية تطور الجنس في النمو الانساني . هكذا يلتقي المنظار الظواهرى *phénoménologique* الذي يتقصى القصد الكامن في السلوك الجنسي ، بالمنظار التكويني (*génétique*) الذي يتتبع مراحل هذا السلوك كما تظهر تباعاً اثناء نمو الفرد . لقد كشف لنا فرويد ان للجنس تاريخاً اذ يبدأ في مطلع الحياة ويتطور ماراً بمراحل مختلفة الى ان يبلغ شكله الراشد . فمن تتبع هذا التطور كما وصفه فرويد ومدرسته وجد ان الجنس في سيره من الوضع الطفلي الى الوضع الراشد يتحرر شيئاً فشيئاً من النرجسية ، اي التركيز المفرط على الذات ، وينفتح بالتالي الى الحوار مع الآخر متجاوزاً شيئاً فشيئاً طابعه الغريزي الاستهلاكي ليصبح « لغة » يتخاطب بها كائنات شخصيان . وبعبارة اخرى يتحرر تدريجياً من اعتبار الآخر شيئاً ليعتبره ذاتاً ، واذا شئنا استخدام تعابير الفيلسوف المعاصر كبريال مارسيل ، قلنا انه يتجاوز اعتبار الآخر « غائباً » (« هو ») ليقيمه « مخاطباً » (« انت »)^٦؛

تلك المسيرة التي ، كما قلنا ، تبدأ منذ اول العمر ، تبلغ مرحلة حاسمة عند انتهاء المراهقة ، ولكنها بالواقع تدوم الحياة

كلها لأن « الرشد » بمعناه الكامل حدٌ مثالي يتقرب منه المرء بدرجات متفاوتة ولكن ما من احد يبلغه كلياً^{٧٢}. هذا وان الانسان ، في تقدمه نحو الرشد لا يسير دوماً في خط مستقيم ، انما كثيراً ما يتوقف عن المسير الى آن او نهائياً وقد يعود في كثير من الحالات القهقري . طريق النضج الجنسي طريق معقد اذاً ومحفوف بالمصاعب والاعطار ، ولكن خطته العام واضح كما بيّن التحليل النفسي المعاصر : انه انتقال من التركيز المطلق على الذات الى الاعتراف بالآخر كشخص مستقل ، مهم بمجد ذاته ، والى اعتباره لا مادة استهلاك بل شريكاً . لقد كتب فرويد بهذا الصدد : « اننا نعزو للفرد طاقة التقدم من النرجسية الى الحب الموضوعي »^{٧٣}. وعبارة « الحب الموضوعي » amour objectal تعني في لغة فرويد ، كما هو معلوم ، حب « الموضوع » objet أي الشخص الآخر من حيث انه آخر ، وبعبارة أخرى حب الشخص الآخر من أجل نفسه وليس فقط من أجل الأنا . وفي مكان آخر أشار فرويد الى « نمو الغريزة الجنسية » كما وصفناه أعلاه ، من الشهوة الذاتية auto-érotisme الى الحب الموضوعي ... »^{٧٤}.

يتضح اذاً ان طريق النضج العاطفي ، الذي يتميز عن النضج العقلي والثقافي^{٧٥} ، هو الطريق الذي ينتقل فيه المرء من نرجسية الشهوة الطفلية الى اصالة الحب الراشد^{٧٦}، ذلك الحب الذي عرّف عنه محللو النفس المعاصرون على انه اهتمام بالآخر من اجل ذاته^{٧٧}. فقد قارن الدكتور شارل نوديه بين « حب » الطفل وحب الراشد ، فقال ان موضوع حب الطفل « ليس محبوباً من اجل فرادته الشخصية ، بل من اجل الوظيفة التي يؤمنها » (وظيفة الأمان والتقييم والتهدئة ...)^{٧٨}، اما الراشد

فيمتاز بكونه « قادراً ان يحب انساناً من اجل فرادته الشخصية »
وليس من اجل الوظائف التي يمكنه ان يقوم بها . في هذه
الحال يمكن لحيه ان يكون هبة عفوية وليس مقدمة ذات طابع
نفعي ... »^{٥٤} واذاف الكاتب نفسه ان الراشد هو من استطاع
ان يحب الآخر كنفسه^{٥٥} .

أما اريك فروم فقد كتب مؤكداً على طابع الايثار الذي
يتميز به الحب الراشد : « ان الحب هو في الاساس عطاء
وليس أخذاً »^{٥٦} . وقال مستشهداً بمحلل نفسي اميركي آخر :
« يصرح سوليفان ... بأن الحب يبدأ عندما يشعر شخص
بم حاجات شخص آخر على انها مهمة بمقدار حاجاته هو »^{٥٧} .

وفي الخط نفسه كتب الدكتور اندره برج المحلل النفسي
والمدير الطبي للمركز النفسي التربوي الشهير التابع لثانوية كلود
بيرنار الرسمية في باريس : « انه لنمط جد بدائي من الحب ان
يحب الانسان فقط من اجل لذته الخاصة ، دون أي اهتمام حقيقي
بالشخص الذي اختاره كموضوع حب . اما من نضج شعوره
بشكل سليم ، فإنه لا يحترم حظ الآخر بالسعادة وحسب بل
يتوق الى منحه اكبر سعادة ممكنة ... »

« ... ان نضج الفرد الجنسي يتلاقى ليس فقط مع خيره
الخاص بل مع خير المجتمع ايضاً »^{٥٨} .

لقد قال فرويد بأن ما يميز الطفل عن الراشد هو ان الاول
مستّر « بمبدأ اللذة » فقط بينما الثاني يقوم « بمبدأ اللذة » هذا
باخضاعه « لمبدأ الواقع »^{٥٩} . ولكن مبدأ الواقع يقتضي ، كما
يذكرنا المحلل النفسي الكبير شارل بودوان ، ان يقيم الانسان

حساباً للآخرين^{٦٠} . لذا يقترح الطبيب النفسي الدكتور اندره ارقوس ان يعتبر « راشداً » من استطاع ان يكون « مسؤولاً » تجاه نفسه وتجاه الآخرين ، من استطاع ان يفتح للآخر بغية الاتصال به^{٦١} .

من هنا نفهم كيف ان علم النفس الحديث يعتبر مقدرة الانسان على الحب الاصيل الذي يقيم للآخر وزناً كأحد المقاييس الهامة لنضجه العاطفي ، وبعبارة أخرى يرى ان الطابع « الحوارى » للسلوك الجنسى هو احدى علامات الشخصية الراشدة^{٦٢} . انه بذلك يسير على منوال فرويد الذي سُئل في آخر حياته ما هي مقاييس النضج ، فأجاب : « الحب والعمل »^{٦٣} . لذا فمن كان عاجزاً عن الثبات في سلوكه الجنسى اعتبر ، من هذا المنظار النفسى ، غير راشد بالفعل . تلك هي حال الدون جوان الذي قال عنه الدكتور نوديه : « ان حياة الدون جوان ، قبل ان تكون مخالفة للاخلاق ، هي مخالفة للتوازن الراشد »^{٦٤} وكتب عنه الدكتور اندره برج : « ان دون جوان ، رغم كل نجاحاته ، ليس في قرارة الامر سوى انسان منكود الحظ لا يكتمل نضجه ابداً »^{٦٥} .

مقياس النضج هذا هو ما يفسر حكم المحللين النفسيين على كثير من مظاهر المجون المعاصر على انها اشكال للسلوك الجنسى غير راشدة فعلاً . هذا ما أكدته الدكتور هسنار^{٦٦} والدكتور جيرار منديل^{٦٧} والمحللان النفسيان اللذان درسا ثورة أيار ١٩٦٨ الطلابية من زاوية التحليل النفسى^{٦٨} .

والآن حان لنا ان نصف بتفصيل ذلك النمو الذى يؤول تدريجياً بالجنس الى شكله الراشد . لقد بين فرويد ان عملية

النضج الجنسي تتم عند الانسان على دفعتين تفصل بينهما فترة يخبو فيها النشاط الجنسي الى حد ما^{١٩}: الاولى تمتد من الولادة الى نحو السادسة والثانية تمتد من بدء المراهقة حتى بلوغ الرشد . في كل من هاتين المرحلتين يمكن ان تتابع خطأ عاماً يتدرج فيه الجنس بموجب اتجاهات ثلاثة متوازية ، متكاملة : من عشق الذات الى عشق الآخر ، من مركزية الأنا الى الاعتراف بالآخر ، من الاستيلاء الى العطاء .

١ - المرحلة الاولى

فالمرحلة الاولى الممتدة على الاعوام الستة الاولى من حياة الطفل أساسية لتكوين الشخصية وبالتالي لتوجيه السلوك الجنسي المستقبل . فاذا سارت الأمور حسب مجراها الطبيعي - وهذا يعود الى حد بعيد الى نوعية العلاقات التي تتوفر للطفل مع محيطه العائلي - كانت هذه المرحلة مجالاً لقيام أسس النضج الجنسي وذلك بموجب الخطوط المتكاملة الثلاثة المذكورة آنفاً :

اولا - انتقال من عشق الذات الى عشق الآخر

شهوة الطفل مركزة أولاً على جسده وبنوع خاص على بعض من مناطق هذا الجسد تختلف مع العمر (zones érogènes) . فهو يجد لذته أولاً في الفم ، فيتمتع بامتصاص ثدي أمه او اصبعه او شفتيه او لسانه (érotisme oral)^{٢٠} ثم يجد تلك المتعة في أعضاء الافراز (érotisme anal et urétral) . ثم

يكتشف عضوه التناسلي ويستمد لذة من العبث به وإثارة (érotisme phallique) . في تلك المراحل كلها يتعشق الطفل جسده محاولاً ان يستمد منه ما أمكن من أحاسيس المتعة . ولكنه عندما يبلغ المرحلة الأخيرة من التي ذكرناها يقفز قفزة حاسمة اذ يدخل في الوضع الإوديبي حيث يتحول موضوع عشقه من جسده الخاص الى كائن آخر هو الأم بالنسبة للصبي والأب بالنسبة للبنات . هكذا يصبح الولد قادراً ان يتجاوز في عشقه دائرة جسده وان يتجه الى الآخر . ولكن لكي يكون هذا الاتجاه أصيلاً وجب ان يكتشف هذا الآخر على انه آخر . ذلك هو هدف الحركة الثانية التي ترافق وتكمل الاولى ، ألا وهي الانتقال من مركزية الأنا الى الاعتراف بالآخر .

ثانياً - انتقال من مركزية الأنا الى الاعتراف بالآخر^{٧١}

فالطفل يعيش بادیء ذي بدء في وضع لا تميز فيه بين العالم الخارجي وأحاسيسه الذاتية ، وكأن ذاته تشمل الكون كله . هذا ما دُعي « بالشعور المحيطي » (sentiment océanique) ، كأن الطفل نقطة لا يسعها ان تميز نفسها عن المحيط بل تشعر وكأنها المحيط كله^{٧٢} . ينتج عن هذا الشعور احساس وهمي عند الطفل بأن رغبته كلية الاقتدار وان كل شيء في متناولها وانه يكفيه بالتالي ان يرغب لكي تتحقق له رغبته . جذور هذا الوضع متأصلة في حياة الطفل قبل الولادة ، اذ يكون عند ذاك جنيناً غير متميز عن جسد والدته . تأتي الولادة فتقسم التمييز الاول بين الطفل والأم ، هذا التمييز الذي يعبر عنه بقطع رباط الصرة . ولكن قطع رباط الصرة المعضوي يبقى على

رباط صرة آخر نفسي . فالطفل الرضيع يعيش لأول وهلة هذا « الشعور الاوقياني » الذي تحدثنا عنه ، كأن « أنا » لا حدود له وكأن أمه (التي تمثل بالنسبة اليه الكون) امتداد لذاته^{٧٢}. وهو بالرضاعة يحاول ان يلتهم أمه ، ان يعيدها الى ذاته ، ملفياً هكذا « صدمة الولادة »^{٧٤}.

ولكن الواقع يفرض ذاته عليه شيئاً فشيئاً^{٧٥}، وذلك من خلال اختبار له حاجات فيه لا تلبى او لا تلبى فوراً . الطفل الذي يبكي لانه جائع ، فيما تستعد أمه لارضاعه ، يبدأ باكتشاف حدوده وبإدراك هذه الحقيقة ألا وهي ان أمه متميزة عنه ، انها آخر^{٧٦}. يقول فرويد بهذا الصدد : « ان ثدي الأم المغذي هو بالنسبة للطفل اول موضوع عشق . في البدء من المؤكد ان الطفل لا يميز عن جسده الخاص الثديي المقدم اليه^{٧٧}. واذ يلاحظ ان هذا الثدي كثيراً ما يعوزه ، يتعلم ان يضعه خارج ذاته وان يعتبره بالتالي « موضوعاً » ... يكتمل فيما بعد اذ يصبح شخص الأم^{٧٨}. ولكن الطفل باكتشافه ان أمه « آخر » يكتشف بأن « أنا » متميز عن هذا الآخر . انه باكتشاف حدوده يكتشف اذاً « الأنا » و « الآخر » في حركة واحدة^{٧٩}، على انها متقابلان . هذا هو الشرط الاساسي ليصبح الحب ممكناً^{٨٠}: ان يكون هناك ذاتان في وضعين متميزين ومتقابلين .

ولكن هذا الاكتشاف للآخر (وبالتالي للأنا) يتزايد مع نمو الرضيع^{٨١}. ففي بادىء الأمر لا ينظر هذا الاخير الى الأم الا من خلال حاجته فيراها مجرد ثدي^{٨٢}، ولكن نمو اجهزته العصبية والحسية وما يرافق ذلك من نمو عقلي يجعله شيئاً فشيئاً

يرى فيها أكثر من مجرد ثدي يُرضعه ، انه يرى فيها وجهاً (وهذا اساسي لأن الوجه ، كما رأينا ، مكان تجلي الشخص).
لذا يبتسم حوالى الشهر الثالث ، كما يتن الدكتور رينه شبيتز ،
لكل وجه باسم او متحرك أمامه . ولكنه لا يميز لأول وهلة
بين وجه ووجه ، بل يبتسم لكل الوجوه - اذا أبصرها ضمن
شروط معينة - كأن كل وجه يمكنه ان يقوم مقام وجه
آخر . الا انه لا يقف عند هذا الحد ، بل يبدأ منذ بلوغه
منتصف السنة الاولى من حياته باكتشاف فرادة الأم^{٨٣} ، ويتبلور
هذا الاكتشاف نحو الشهر الثامن فيما دعاه شبيتز « يجزع الثانية
أشهر » حيث يجزع الطفل اذا رأى غريباً أثناء غياب أمه ،
مما يشكل دليلاً على تمييزه التام للأم عن الغريب ويُعتبر مرحلة
حاسمة في طريق اكتشافه للآخر كشخص فريد^{٨٤} .

هذا الاكتشاف للآخر كآخِر وتمييزه عن الأنا يحتاز شوطاً
الى الامام من خلال خبرة الفطام التي يعيشها الطفل ليس كحرمان
من حليب الأم وحسب (كما يتصور الراشدون في كثير من
الاحيان) بل كحرمان من الأم نفسها . لذا فالفطام مرحلة
دقيقة قد تجر نتائج وخيمة اذا لم تحرص الأم على تمييزها بتفهم
وتأنٍ ، ولكنها بحد ذاتها مرحلة هامة من مراحل ذلك النضج
الذي نحن بصددده . انها تشكل ، على صعيد نفسي ، شيئاً مما
شكلته الولادة على صعيد عضوي ، أي انها تفصل ثانية الطفل
عن أمه وبذلك تسمح له بأن يزداد وعياً لذاته ولأمه ككائنين
متميزين^{٨٥} . (هذا وسوف يلعب الدخول الى المدرسة دوراً مماثلاً
للفطام فيما بعد)^{٨٦} .

ثم ، بين الواحدة والثالثة من العمر ، يتقدم الطفل خطوات
واسعة في هذه الطريق . ففي أواخر العام الأول من عمره

يكتسب المقدرة على المشي ، وهذا حدث أساسي في حياته النفسية لانه يحوله من « شيء » ينقل من هنا الى هناك حسب مشيئة الراشدين الى كائن مستقل ، مقتدر ، يذهب الى حيث يشاء ويبدأ باكتشاف العالم الواسع^{٨٧} . ويرافق ظهور المشي عند الولد نمو في جهازه العضلي يجعله قادراً على القيام بحركات متعددة تزداد مع الزمن دقة وقوة ، فيتوصل الى استخدام الاشياء باتقان وينقلها ويقذف بها ويحطمها ، اما هو فيعملو ويهبط ويركض ويقفز ويحرف ويقوم بحركات بهلوانية متنوعة . زد على ذلك اكتسابه النطق في تلك الآونة بالذات ، مما يعطيه قدرة جديدة من جهة اذ يمكنه من التعبير عن رغباته ، ومن جهة أخرى يساعده على التمييز بينه وبين الآخر اذ يفترض الكلام ازدواجية المتكلم والمخاطب^{٨٨} . كل تلك المكاسب تُشعر الطفل بوجوده المستقل وتقيم بينه وبين الام مسافة^{٨٩} تثير فيه شعوراً مزدوجاً ، اذ يتجاذبه الفخر باستقلاله الجديد من جهة والجزع من ابتعاده عن الام من جهة أخرى . لذا كثيراً ما نراه في عامه الثاني يرتمي في أحضان الوالدة ويتعلق باهدايا وكأنه يخاف من هذا النمو الذي يبعده عنها ويحنّ الى استعادة الاختلاط الاول الذي كان قائماً بينه وبينها قبل الفطام . الا ان هذه الطريق مسدودة لحسن الحظ أمامه ، ولذا يضطر الى السير قدماً في حركة التمييز بين الذات والآخر ، ذلك التمييز الذي لا يمكن بدونه للحب ان يقوم .

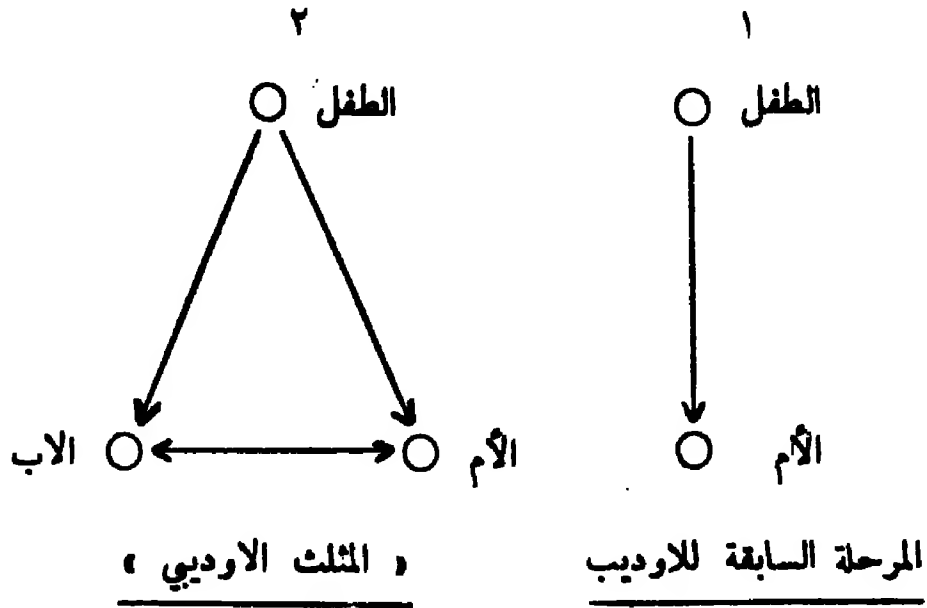
ويدفعه في هذه الطريق التقديمية الاصطدام الذي لا بد له ان يبرز ويشد بينه وبين والدته في تلك المرحلة . من مظاهر هذا الاصطدام ان الولد اهوج في حركاته الناتجة عن حيوية فائضة ولكنها لا تزال فوضوية ، ولا بد للأم ، من أجل سلامة

الولد وراحة البيت وترتيبه ، ان تتصدى من وقت الى آخر لهذه الحركة الدائمة وتضع لها حدوداً (هذا أمر لا بد منه ، شرط ان يتم هو أيضاً بتفهم وتأنٍ) . كثيراً اذا ما تجابه الولد « بلا » قولاً او ايماءً ، والولد ، كما بين الدكتور شبيتز ، يتبنى هذه « اللا » ويرتد بها ضد الام في ذلك العام الثاني من العمر الذي دُعي « سن اللا » . ولكن هذا الصراع بين « لا » و « لا » ، اذا لم يصبح مأساوياً بسبب عدم نضوج الام ، مهمّ ليدفع بالطفل في طريق اكتشاف الذات والآخر ككائنين متميزين ، متقابلين . ويبلغ هذا الصراع ذروته نحو الثالثة من العمر ، فيما سمّاه الدكتور هنري فاللون « بأزمة السنة الثالثة »^{١٠} ، وهي مرحلة هامة في تجاوز الطفل للاحتلاطية الاولى بينه وبين عالمه (syncretisme) ، اذ انه بمخالفته وعناده يؤكد ذاته تجاه المحيط العائلي ، مبلوراً هكذا وعيه لذاته وللآخرين بأن ، في اختبار الصراع بين ارادتهم وارادته .

وبين الثانية والخامسة من العمر ، يكتشف الطفل الفرق بين الجنسين^{١١} ، مما له أثر هام فيما نحن بصده . ذلك ان ادراك الولد لوجود فئتين من البشر ، هما الذكور والاناث ، يحول بينه وبين نزعه الى ردّ كل شيء الى ذاته . انه يدرك وجود من يختلف عنه وهذه مرحلة من مراحل اكتشافه الآخر والاعتراف بوجوده^{١٢} .

ومن جهة أخرى فنحو الثالثة من العمر يدخل الطفل في المرحلة الاوديبية التي تلعب دوراً أساسياً في تجاوزه لمركزية الأنا نحو الاعتراف بالآخر . ان ما سبق هذه المرحلة من انفصال وصراع بين الطفل والام كان لا بد له ، كما رأينا ، ان ينمي

تدريجياً شعور الطفل بأن أمه ليست مجرد امتداد له ، امتداد
لأنه لا حدود له ، بل ان هذا الأنا محدود بوجود الآخر المستقل
عن وجوده هو . ولكن هذا الوعي لا يكتمل الا اذا عاش
الولد هذه الخبرة الانفعالية الحاسمة التي يتعمق بها الانفصال عن
الام الذي بدأ بالولادة وتوسع بالفطام . تلك الخبرة هي الخبرة
الاوديبية . يعيشها الصبي والبنت بشكل مختلف ولكن نتيجتها
عند كليهما متشابهة فيما نحن بصده . فلنتوقف عند وضع الصبي
لانه أبسط . عندما يبلغ الصبي المرحلة الاوديبية ، فإنه في
أعماق شعوره ، اللاواعي الى حد بعيد ، لا يزال يعتقد ان
أمه هي امتداد له . هذا رغم تكذيب الواقع المتكرر لهذا
الاعتقاد ، هذا التكذيب الذي سبق ورأينا بعض اشكاله ،
يُضاف اليها ما يحدث كثيراً في السنين الثلاث الاولى من العمر ،
من بروز منافس للطفل بشكل أخ وأخت يولدان بعده فينافسانه
على حب الوالدة ويزعزان اعتقاده بأنه مركز الكون . رغم
تكذيب الواقع هذا لا يزال يبدو لشعور الطفل العميق ، هذا
الشعور الذي لم يزل أسير « مبدأ اللذة » ولم يخضع « لمبدأ
الواقع » ، حسب تمييز فرويد ، انه يكفي ان يشتهي الام
ليمتلكها ويستأثر بها . ولكنه ، عند خوضه الصراع الاوديبى ،
لا يلبث ان يرتطم بصخرة الواقع فيرتد خائباً . ليس لأن الام
ترفض ان تستجيب لرغبة الطفل في امتلاكها وحسب ، بل لان
عاملاً جديداً بالغ الأهمية يلعب دوره هنا ، وهو بروز الأب
الذي كان الى جد ما محتجباً وراء الام ، في نظر الطفل ، الى
ذلك الحين . أما الآن فالعلاقة لم تعد ثنائية ، بل مثلثة : هذا
هو « المثلث الاوديبى » الشهير .



ذلك ان رغبة الولد في امتلاك الام تصطدم بوجود الأب الذي هو حسب تصور الطفل « مالكا » للأم (لان الطفل لا يمكنه بعد في هذه الفترة ان يعي العلاقة بين الاشخاص الا على صورة الامتلاك)^{١٣} . هكذا يرى الطفل نفسه مضطراً ان يقيم الحساب لهذا الحاجز المنتصب بينه وبين امتلاك الام^{١٤} . انه يود ان يزيع من دربه هذا المنافس له على حب امه ، ولكنه بأن يحب هذا المنافس ويُعجب به ويرهبه . لذا تتجاذبه مشاعر متناقضة يشكل اجتماعها تلك « العقدة » التي هي « عقدة اوديب » . ويصبح الولد مسرحاً لصراع داخلي لا واع الى حد بعيد لانه يجري في اعماق الشعور (ولو انه يتجلى بكلمات وتصرفات معبرة يلاحظها المرء بسهولة عند الاطفال) ولكنه حاسم بالنسبة لمستقبل النمو . في النهاية يتحقق الطفل من أن الام لها مرجع غيره وهو الأب ، وانه لا يمكنه ان يستهين بهذا المرجع وأن يجعله كأنه غير موجود ، فيتغلب اذاً عن رغبته

بامتلاك الام . ولكن ما يهنا بنوع خاص فيما نحن بصددده ان اكتشاف الولد بأن للأم مرجعاً غيره يعني وعيه بأن لـلام شخصية قائمة بذاتها ، مستقلة عن هواه^{١٥} . وهذا كسب عظيم يتوّج تلك المسيرة التي حاولنا تتبعها عند الطفل ، نحو اكتشاف الآخر كآخر^{١٦}.

ثالثاً - انتقال من الاستيلاء الى العطاء^{١٧}

هذا الاكتشاف التدريجي للآخر كذات مستقلة يرافقه تحول مما دعاه الدكتور بيشون Pichon الموقف الاستيلاني (Captatif) الى ما دعاه الموقف المعطائي (oblatif) . فالطفل بادئ ذي بدء لا يسهه الا ان يأخذ^{١٨} . حياته الانفعالية مركّزة في البدء على الفم ، كما رأينا ، وكأنه يحملته فم يبتلع الاشياء ، يستهلكها ، يمتص حليب الام ودفئها وحنانها بأن ، في حركة متجهة من الخارج الى الداخل (centripète) لا تقابلها حركة معاكسة من الداخل الى الخارج (centrifuge)^{١٩} . وفي المرحلة التالية المركّزة على الافراز (stade sadique anal) لا يزال موقف الاخذ مسيطراً ، ويتخذ عند ذاك شكل التملك ، شكل الرغبة في استعباد الامّ وأسرها والسيطرة عليها^{٢٠} . لذا نقول بالعامية عندما نشاهد طفلاً يتعلق باهداب امه قصد تقييدها اليه واحتكارها ، انه « يتسلط » عليها والكلمة هذه معبّرة عن نزعة التملك التي نحن بصدددها^{٢١} . ولكن حركة النمو تدفع الطفل الى ان يتجاوز تدريجياً موقف الاخذ هذا المعبّر عنه بالابتلاع اولاً ثم بالتملك . فأنه على قدر اكتشافه شخص الآخر كتميز عنه يصبح قادراً على المبادلة ، يتمرّس على العطاء . يبادل الام ابتسامتها اولاً ثم يتوصل في اواخر السنة الاولى من عمره الى مبادلتها تعابير الحنان

من 'قبل وغيرها'!^{١٠٢} وعندما يكتشف ، بين الواحدة والثالثة ، ان ارادة الأم متميزة عن ارادته ورغباتها عن رغباته ، يكتشف بالتالي ان لا بد له ان يضحي بشيء من رغباته ، في سبيل ارضاء الام والمحافظة على عطفها!^{١٠٣} هكذا يتمرس على التضحية!^{١٠٤} صحيح ان تضحيته غير خالصة بعد في هذه المرحلة لانها ناتجة الى حد بعيد عن خوفه من فقدان عطف الام ، ولكنها ، على ذلك ، بذار كل تضحية . هكذا نراه مثلاً يقبل رغم غيرته ان يشارك أمه حبها للمولود الجديد ، مرتضياً ان يحب هذا المنافس المكروه في الأساس ، انسجاماً مع حب الأم له . هذا الموقف عينه يتجلى في ذلك المجال الذي كثيراً ما يحدث فيه الصراع بين الطفل ووالدته ، الا وهو مجال تربية النظافة أي تربية وظائف الافراز وجعلها خاضعة لأوقات وقواعد!^{١٠٥} هنا تتعارض ارادة الام المربية مع رغبات الطفل الذي يود ان يتصرف بجسده كما يحلو له فيفرز كيفما يشاء وحين يشاء غير خاضع لقاعدة أخرى سوى لذته وارادته الناشئة . ألا انه يتوصل ، اذا سارت الأمور سيرها الطبيعي ، الى قبول النظام الذي تريده الام ان يخضع له ، وذلك من أجل الحفاظ على محبتها وعطفها ، « فيعطيا » افرازات جسده كأثن شيء لديه في هذا العمر لانها « عمله » وامتداد لشخصه وموضوع اهتمام أمه!^{١٠٦} ولم تصبح بعد بالنسبة اليه موضوع اشمزاز كما هي الحال فيما بعد!^{١٠٧} ان من شاهد طفلاً او طفلة حوالى الثانية من عمرها « يقدمان » للوالدة باعتزاز وفرح ما « صنعاه » في « الأرضية » يدرك قيمة هذه « التقدمة » بالنسبة لها (تلك القيمة التي يحافظ عليها العقل الباطن حتى عند الراشدين اذ يجعل قوازيماً - يعتبر عنه مثلاً التفسير الشعبي للأحلام - بين افرازات

الجسد والفنى) ويعني كيف ان الطفل يبلغ هنا ، كما بين الدكتور وفريد دام^{١٠٨}، مرحلة هامة في الانتقال من الأخذ الى العطاء وفي التمرس على التضحية^{١٠٩}.

ولكن عندما يبلغ اكتشاف الآخر كآخر احدى ذرواته عند حلّ المشكلة الاودوبية ، حوالى السادسة من العمر ، عند ذاك تنمو ايضاً النزعة المعطائية نمواً ملموساً^{١١٠}. فالطفل الذي كان بوده ان يملك والدته ، ان يستولي عليها ، يتغلى عن هذا الحلم ، انه يرتضي بأن لا تكون أمه « له » ويكتفي بأن يكون تعلقه بها تعلق رقة واخلاص وانعطاف^{١١١} هكذا يبدأ باكتساب الصفات التي سوف يتميز بها الحب الراشد (stade génital) الذي لا يقوم الا اذا اقترن الحنان بالشهوة وهذها ، وأصبح المحبوب « موضوع اعتبار » حسب تعبير فرويد ومهماً بمجد ذاته^{١١٢}. هذا الاعتبار للآخر الذي بدأ الطفل يسمو اليه في حبه نتيجة لنموه العاطفي في هذه المرحلة ، قد يتجلى في نوع من العلاقات الغرامية الخالية من الشهوة يعيشها الصبية مع رفيقات من عمرهم في المرحلة اللاحقة ، الممتدة من السادسة الى المراهقة ، تلك المرحلة التي يزهر فيها ما دعاه الشاعر « فردوس الحب الطفولي الاخضر » (« le vert paradis des amours enfantines »)^{١١٣}

ذلك انه بعد عواصف المرحلة الأودوبية ، تمتد فترة هادئة نسبياً يخمد فيها الى حد ما تأجج الغرائز . انها فترة الكون (période de latence) التي ينصرف فيها الولد الى بناء شخصيته والى الاستعداد لقفزة المراهقة . في هذه الفترة ينضج عقل الولد ، فيصبح قادراً على المنطق والموضوعية ، وكذلك تنمو وتبلور حاسته الاجتماعية فيصبح قادراً على الاندماج في جماعات من اترابه ومشاركتها حياتها ونشاطها . هذان العاملان ، أي النضوج

العقلي ونمو الحاسة الاجتماعية يُضعفان في الولد مركزية الأنا وبذا يساعدانه على متابعة الخط الذي رأينا حياته الانفعالية تسلكه حتى الآن ، بانتظار المرحلة الثانية لنضوج الجنس التي ستعرض لها الآن ، تلك المرحلة الممتدة بين أول المراهقة وبلوغ الرشد .

٢ - المرحلة الثانية

في هذه المرحلة التي يتكوّن فيها رجل او امرأة الغد في طفل او طفلة الامس ، والتي دعاها روسو لهذا السبب « ولادة جديدة » ، تلك الحقبة التي تبلغ فيها عملية النضج ، البادرة مع الحياة ، مرحلتها الحاسمة^{١١}، تتخذ النزعة الجنسية ايضاً ، المستقيظة بتأثير النشاط الهورموني^{١٢}، وجهها النهائي ، وجهها الراشد^{١٣} (هذا على قدر ما يصبح الانسان راشداً ، لأن الرشد حد مثالي يقترب منه اكثر او اقل ولكنه لا يُبلغ بالكلية) . ويتخذ هذا التطور الحاسم للنزعة الجنسية الاتجاهات الثلاثة المتكاملة التي وصفناها في المرحلة الاولى^{١٤} : اي انه ، هنا ايضاً ، لكن على صعيد ارقى ، يسير من عشق الذات الى عشق الآخر ، ومن مركزية الأنا الى الاعتراف بالآخر ، ومن الاستيلاء الى العطاء .

اولاً - انتقال من عشق الذات الى عشق الآخر^{١٥}

ان نضوج الاعضاء التناسلية في هذا العمر ، والافرازات الهورمونية التي تشيعها غدها في الجسم وتؤثر بها على الجهاز العصبي ، توقظ عند المراهق او المراهقة النزعة الجنسية التي كانت كما رأينا ، راقدة الى حد ما منذ تجاوز المرحلة الاوديبية . ألا

ان هناك تفاوتاً بين نضج الاعضاء التناسلية الذي سرعان ما يجعل من المراهق رجلاً ومن المراهقة امرأة على الصعيد البيولوجي وبين وضع النزعة الجنسية التي تبقى الى حد بعيد مرتبطة برواسب الطفولة^{١١} فنضوج الاعضاء التناسلية سرعان ما يجعل المراهق قابلاً لاتصال جنسي بالغ بالآخر ، ولكن نزعة الجنسية متأخرة عن ركب نموه الجسدي اذ لا تزال الى حد ما عالقة بعشق الذات ، غير متجهة كلياً الى الآخر . لذا نرى المراهق يمارس بنسبة كبيرة ، حسب الاحصاءات^{١٢}، العادة السرية او الاستمناء التي هي شكل من التلذذ الطفلي بالجسد الذاتي (auto - érotisme) رأينا الطفل يمارسه حوالى الثالثة من عمره^{١٣} اما المراهقات فيمارسن العادة السرية بمعناها المعروف بنسبة اقل^{١٤} ولكنهن كثيراً ما يستعصن عنها بنوع من الاستمناء العاطفي^{١٥}، وهو ذلك التمتع الترجسي بالاعجاب الذي تثيره مفاتهن عند الجنس الآخر ، ذلك التلذذ بصورتهم كما يرينها منعكسة في انظار الآخرين او في المرأة^{١٦}، ذلك اللهو بمشاعرهن الجديدة . هن يعبتن بقلوبهن ، حسب تعبير دوكونشي ، كما يعبت المراهقون اجسادهم ، وفي كلتا الحالتين عشق طفلي لذات وتلذذ بها^{١٧}.

ولكن كل حركة نحو المراهق ، إن على الصعيد البيولوجي او على الصعيد النفسي ، تدفعه الى تجاوز هذا الوضع الطفلي في حياته الجنسية والى الاتجاه صوب الآخر^{١٨}! صحيح ان المراهق نرجسي بنوع خاص^{١٩}. انه بمعنى ما نرجسي اكثر من الطفل لأن الطفل لم يميز بعد أناه عن الخارج او لم يميزه كفاية ، اما المراهق فقد اكتشفه وتمشقه بوعي . لذا كان نرجس في الاسطورة مراهقاً^{٢٠} ولكن المراهق ، من جهة ثانية ، يتألم من عزله

ويود ان يخرج منها بلقاء الآخر ، ذلك الآخر الذي أصبح مؤهلاً لاكتشافه كشخص كما اكتشف ذاته^{١٢١}! الا انه في حركته هذه يبدو وكأنه لا يحسر ان ينتقل فجأة من ذاته الى هذا الآخر . واذا به يسعى الى موضوع انتقالي يكون بمثابة صلة بينه وبين الجنس الآخر^{١٢٢}! انه ، كما يقول العالم النفسي الكبير اوسفالد شوارز في كتابه « سيكولوجية الجنس » ، شبيه بانسان لم يحسر على اجتياز نهر عريض بالقفز من ضفة الى أخرى ، فألقى حجراً في وسط النهر كي يعبر بواسطته الى الضفة المقابلة^{١٢٣}! هذا الموضوع الانتقالي هو كائن من الجنس نفسه ، ذلك الكائن الذي هو آخر بالنسبة للمراهق (لانه شخص آخر) ولكنه شبيه به (لانه من جنسه) . وكأن المراهق يشاهد فيه صورته ، فيتعشق فيه هذه الصورة ويوفر على نفسه مشقة ومجازفة تتجاوز ذاته بالكلية باتجاه آخر يكون آخراً جذرياً^{١٢٤}! لذا ينتشر في المراهقة الميل الى الجنس نفسه ، الذي لا يتخذ الا نادراً شكل الاتصال الجنسي الفعلي ولكنه في معظم الاحيان ، وخاصة عند المراهقات ، عبارة عن مجرد علاقات عاطفية تتخذ شكل العشق ، وقد تعبر تلك العلاقات عن ذاتها ، خاصة عند المراهقين ، بمظاهر جسدية^{١٢٥}!

ولكن هذا الوضع محكوم عليه ، بداعي طبيعته الانتقالية ، ان لا يستمر ، هذا اذا سارت الامور في مجراها الطبيعي^{١٢٦}، فلا يلبث ان يزول ليفسح المجال امام الانجذاب نحو الجنس الآخر والرغبة في الاتصال به . وبالطبع تلعب ظروف الحياة دوراً كبيراً في هذا التطور ، فتحدد الى حد بعيد سرعة ومقدار تجاوز المراهق لهذه المرحلة الانتقالية . فاذا لم يُتَح للمراهق او للمراهقة سوى معايشة أفراد جنسه ، كما يجري مثلاً في بعض

المدارس الداخلية التي يكون فيها اتصال الطلاب او الطالبات بالخارج شبه معدوم ، او في بعض المجتمعات التي تحتم تقاليدها الفصل القطعي بين الجنسين ، يصعب على المراهق تجاوز مرحلة الجنس المثلي وتؤكد فيه النزعة الجنسية المثلية الى حد انها قد تترك فيه رواسب قوية مدى الحياة او قد تدفعه الى الشذوذ الجنسي^{١٣٥}! هنا تبدو أهمية الاختلاط بين الجنسين - شرط ان يكون هذا الاختلاط واعياً - لمساعدة المراهق على السير قدماً في نموه العاطفي متجاوزاً الجنس الذاتي الطفلي ، (auto-érotisme) والجنس المثلي الذي هو امتداد للاول لانه لا يتجه الى الاخر الا من حيث انه صورة للذات (allo-érotisme homosexuel) ، ليلبغ الميل الناضج الى الجنس الاخر (allo-érotisme hétérosexuel)^{١٣٦}، وما يحذر ملاحظته ان هذا الاختلاط لا يساعد المراهق او المراهقة على اكتشاف الجنس الآخر وحسب ، بل وبالحركة نفسها ، على اكتشاف الآخر كآخر^{١٣٧}، هذا الاكتشاف الاساسي لاكتمال الشخصية الانسانية بخروجها من قوقعتها ، وبالتالي لاكتمال الحب الذي لا يقوم الا اذا تجاوز المرء ذاته الى آخر . يقول جان كلود بارثو بهذا الصدد في مذكراته : « بالنسبة للرجل ، المرأة هي « الآخر » ، « المختلف » ؛ اما رفاقه من جنسه ، ... فليسوا سوى « امثاله » ويضيف : « رغم نزوات المراهقة ، فقد ساعدتني الفتيات ، اذ كشفن ذواتهن لي كأشخاص ، على ادراك حقيقة وجود اشخاص غيري في الكون »^{١٣٨}.

هذا ما يقودنا الى المظهر الثاني من مظاهر نمو الجنس في المراهقة ، ألا وهو الانتقال من مركزية الأنا الى الاعتراف بالآخر .

ثانياً - انتقال من مركزية الانا الى الاعتراف بالآخر^{١٣٩}

ان اكتشاف المراهق للجنس وانجذابه اليه لا يعني بمجد ذاته انه أصبح قادراً على اقامة علاقة حقيقية صحيحة بين شخصه وشخص الآخر . فامام هذه العلاقة تنتصب عقبة مركزية الأنا، تلك المركزية التي ورثها المراهق عن الطفل ولكنها اتخذت عنده شكلا اكثر حدة . فالطفل يعيش أناه دون ان يعيه او دون ان يعيه تماماً ، اما المراهق فقد اكتشف أناه وُشف به . ولكنه ، بقدر وعيه لأناه المتميز ، وعى عزله ، كما سبق واشرنا ، وبالتالي شعر بحاجة الى الخروج منها بقاء الآخر . ومن جهة اخرى ، فإن وعيه لفرداته جعله اكثر قابلية لاكتشاف فرداة الآخرين^{١٤٠} . من هنا ينشأ صراع بين النرجسية المنغلقة التي لا تقيم وزناً للآخر كآخر بل تراه غذاءً لها ليس الا ، وبين الاعتراف بالآخر كشخص فريد ، مهم بمجد ذاته . هذا الصراع يتخذ النزعة الجنسية مسرحاً خاصاً له ويؤول في احسن الاحوال الى انتصار الاعتراف بالآخر ، في العلاقة الجنسية ، كشريك فريد^{١٤١} !

فأول وهلة ينزع المراهق الى الاتصال بالجنس الآخر من حيث هو ، دون اقامة وزن للأشخاص . لذا « ينقل فؤاده حيث شاء من الهوى » ، غير مكترث سوى للذته سيان ان جناها هنا او هناك ، كما ان الفراشة تنتقل من زهرة الى زهرة لا يهمها من كل زهرة سوى رحيقها . هكذا ينتقل المراهق في حبه من هذه الى تلك من الفتيات ، لا يهمه في كل منهن سوى تلك الانوثة التي تثير فضوله وتوقظ نشوته^{١٤٢} في سلوك المغازلة

(flirt) هذا ، في تلك العلاقات الغرامية العابرة ، لا يُعتبر الآخر الا كوسيلة لقضاء حاجة وبلوغ اللذة واثارة المشاعر^{١٤٣} يقول دوكونشي : « ما يطلب من الآخر ، اياً كان ، هو ان يكون وسيلة لقلب وجسد يسعيان الى الاثارة ، الآخر يستخدم من اجل الاثارة » . ويقول اوريزون « ان الآخر يعاش (في منظار كهذا) كوسيلة لتهدئة توتر او اشباع رغبة » . الآخر ، في هذا المنظار ، يُعتبر الى حد بعيد شيئاً يُستهلك ، هذا ما يُعبّر عنه في كثير من التعابير الشائعة التي يذكر دوكونشي بعضاً منها ، مثلاً : « لقد فقدت واحدة » ، لكنني ساستعيض عنها بعشرة غيرها^{١٤٤} . هكذا فان هذا السلوك ، وان اتجه الى آخر ، لا يستهدفه من اجل نفسه ، يقول دوكونشي : « الآخر يُستهدف ولكنه لم يُستهدف بعد من حيث انه آخر ولأنه الآخر » . لذا فمغازلة المراهقين تعتبر بحق ، كما يقول دوكونشي واوريزون ، سلوكاً ذا طابع استمنائي الى حد ما ، لأنها سعي الى لذة انعزالية وسعي يحتاج فيه الآخر كآخر وبالتالي لا يمكنه ان يؤول الى مشاركة حقة . انه بالتالي سلوك غير ناضج ، ذا طابع طفلي .

ان المراهق الذي ينصرف بافراط الى سلوك كهذا يتعرض لخطر التوقف عنده^{١٤٥} وتخليد مرحلة هي بطبيعتها مرحلة انتقالية ليس الا ، تدفع حركة النمو الى تجاوزها . فالمراهق يشعر في قرارة نفسه بالفراغ الذي تحمله تلك العلاقات العابرة السطحية التي تستهويه^{١٤٦} ، لذا ينزع الى علاقات اكثر اصالة وعمقا . هاجس الآخر من حيث هو آخر يزداد تدريجياً عنده ، كما بيتن اوريزون ، وبالتالي يخفّ تدريجياً ذلك الطابع الاستمنائي الذي تتسم به مغامراته ، فيما يشتد سعيه الى لقاء حقيقي بالآخر .

اما تنويج حركة النضج هذه فهو ظهور الحب لشخص واحد ، معين ، من الجنس الآخر ، شخص يبدو ليس مجرد ممثل لهذا الجنس وحامل لصفاته بل كشخص كامل وفريد ، يتسم بطابع جنسه ولكنه يتجاوز وظيفته الجنسية . عند ذاك يتخذ الجنس ، كما يقول اوريزون ، معناه كتعبير عن علاقة عميقة من شخص لشخص ولا يعود يظهر ، الا بشكل ضعيف ، بالاستقلال عن هذه العلاقة . « هذا هو ، يقول دوكونشي حب الآخر ومن اجل الآخر ... الجنس يصبح مكاناً ممتازاً لهذا العطاء وهذه المقدرة على التقبل اللذين هما ملازمان للمعطائية التي تتميز بها الشخصية الراشدة » . يتوصل المراهق في احسن الاحوال ، الى تلك المرحلة الناضجة التي يعده لها غوه العاطفي ، يساعده في تطوره هذا تمرسه على الانفتاح الى الآخرين عامة ، على الانتباه اليهم وتبني حاجاتهم ومشاكلهم ، كما بين ميشال كواست في كتاب تعرض فيه بشكل واقعي لنمو المراهق ومشاكله بصورة يوميات مراهق وهي سماه « داني »^{١٤٧} . وقد بين مارك اوريزون انه غالباً ، على ما يبدو ، يستعجل تطور المراهق نحو الحب الناضج لقاءه بشخص من الجنس الآخر لتبلور حوله مشاعره^{١٤٨}

ثالثاً - انتقال من الاستيلاء الى العطاء

هذا التركيز المتزايد على شخص الآخر لا بد وان يرافقه تحول تدريجي من موقف الاستيلاء الى موقف العطاء . فبقدر ما يبدو الآخر مهماً بحد ذاته ، بقدر ذلك يصبح هاجس المرء لا ان يأخذ منه وحسب بل ان يمنحه من جهته ما استطاع ،

ان يوفر له السعادة والرضا . هذا هو موقف المراهق اذا بلغ مرحلة التعلق بشخص من الجنس الآخر من اجل نفسه . انه يسعى لارضائه بشق الوسائل وفي هذا السبيل يتعلم ، كما يقول هادفيلد ، التهذيب والاناقة والذوق ويسعى الى تثقيف نفسه^{١٤٩} . انه يبدي تجاهه شق معاني الصداقة من اخلاص وحنان وحماية^{١٥٠} . كثيراً ما يصطدم موقف الحب المعطائي هذا عند المراهقين بنزعة جنسية لا تزال الاستيلائية مهيمنة عليها ، مما يؤول الى فصح مؤقت بين الحب والشهوة^{١٥١} هذا ما نرى نموذجاً عنه في نص لبيار سورا وهو مربٍ فرنسي شاء ان ينقذ المراهقين الجانحين فعاش معهم وفيما بينهم وروى لنا خبرته الخطرة والمثيرة هذه في كتاب عنوانه « لما هذا الغضب كله ؟ » . يحدثنا الكاتب عن الاتصالات الجنسية بين هؤلاء المراهقين الذين عايشهم ، وعن السطحية التي تجعل منها احتكاكات لا لذة حقيقية فيها لانها لا تحمل أي اتصال شخصي^{١٥٢} . هؤلاء لا يعرفون الحب لان احداً لم يحبهم^{١٥٣} ، ولذا فاتصالاتهم الجنسية مجرد تخدير لشعورهم بالعزلة يلجأون اليه اذا اصبح السأم لا يُطاق . ولكن ها أن احدهم ، ماركو ، وقد كان مشهوراً بمغامراته الغرامية ، « اهتدى » الى الحب أثر لقائه بفتاة من نوع لم يعهده : « لقد حاول ماركو ان يغازلها ، ولكنه أدرك ، لأول مرة في حياته ، ان هناك فتيات يستطعن التفكير بغير اللذة دون ان يفقدن شيئاً من أنوثتهن ولطفهن » ، بل بالعكس . ان بول تجذبه اليها . لا شك انه يكتشف الحب .

« لقد اقر أمامي : « انها هائلة » هذه الفتاة . انها المرة الأولى التي أرى فيها واحدة مثلها . أمر غريب ، لا أرغب في

تقبلها . ان أكون معها ، هذا يكفيني .

« ميركا ونينيت وكثيرات غيرهن أصبحن بعيدات جداً عن فكره الان . لقد فاجئته أكثر من ليلة وحده ، وكان يبدو سعيداً بذلك »^{١٥٤}.

الا ان اكتمال النضج لا يتم الا اذا تجاوز المراهق هذه المرحلة التي تشوبها رومنطيقية تنظر الى الآخر لا حسب واقعه بل كما يصوره الخيال . في آخر المطاف يجب ان تندمج الشهوة بالحنان ، الرغبة بالصدقة . يقول فرويد بهذا الصدد : « ان ما يؤمن للحياة الجنسية صفتها الطبيعية هو اجتماع ... تيارين : تيار الحنان وتيار الشهوة »^{١٥٥}. هكذا يكتمل الجنس بتصعيده في الحب ، كما يتحقق الحب بتجسده في الجنس .

بجمل الكلام ان المراهق ، بعد ان يتجه نحو الانوثة بشكل عام ، منقلبا هواء من فتاة الى أخرى ، سعياً وراء الاحاسيس المثيرة ، « عاشقاً العشق » ، حسب تعبير اوغسطينوس المغبوط في « اعترافاته »^{١٥٦}، يستطيع ، اذا بلغ النضج الكافي ، ان يتوقف عند فتاة معينة تصبح بالنسبة اليه كائناً فريداً يستقطب قلبه وغريزته بأن ، فيتألف في حبه لها الشهوة والحنان ، الرغبة في الأخذ والرغبة في العطاء ، ويحسّ ان اسعادها ضروري لسعادته وان مصيرها مهم كمصيره^{١٥٧}. هكذا يبلغ الجنس بالحب حقيقته الراشدة^{١٥٨}.

جـ - الزواج والحب

هذا الحب الراشد الذي به يتحقق مرمى الجنس الاتحادي رتوج به حركة النمو ، يجد مكانه الطبيعي وتعبيره الكامل في مؤسسة اجتماعية تنسجم مع طبيعته ومتطلباته . تلك المؤسسة هي الزواج . يحذر بنا ان نتوقف الآن عندها لنبحث بها لا من حيث هي مؤسسة لها نوااميسها الخاصة بل من جهة ارتباطها بذلك الحب الذي به يبلغ الجنس غايته الانسانية . من هذا سننظر يمكننا ان نقول ان الزواج هو اطار الحب مضيفين بان هذا الاطار لا يمكن بحال من الاحوال ان يغني عن المضمون^{١٥} .

١ - الزواج اطار الحب

الزواج إطار الحب لانه وعد يُكرّس امام الملامات الحب الاساسية ، ولأنه مكان نمو الحب وتعميقه ، اخيراً لأنه مكان خصب الحب^{١٦} .

اولا - الزواج وعد يكرس امام الملامات الحب الاساسية قلنا ان الحب الاصيل هو اكتشاف للآخر في فرادته وتمعهده في بعده الزمني . قلنا ايضاً ان هاتين الصفتين تحتاجان ، لكي تثبتا ، التزاماً كلياً من الشخص تجاه الشخص الآخر ، التزاماً تتناغم فيه الارادة والشعور ، وان هذا الالتزام يتم بوعد .

ولكن الزواج هو ، في جوهره ، ذلك الوعد الذي يكرّس صفات الحب الكامل . انه وعد بأن يكون الحب واحداً ، هذا ما يقتضيه اكتشاف الآخر كشخص فريد ، وبأن يكون رباط الحب غير منفصم ، هذا ما يتطلبه تعهد الآخر في بعده الزماني بدون هذا الوعد لا يمكن للالتزام المحب تجاه محبوبه ان يكون كاملاً ، وبالتالي لا يمكن لاتجاه الشخص نحو الشخص الآخر ان يبلغ منتهى الاصاله ، وبعبارة اخرى لا يمكن للحب ان يكتمل ويحقق جوهره العميق . الحب دون وعد لا يزال عرضة لتقلبات الهوى ، بالوعد فقط يتجاوز الهوى ليصبح حباً بكل ما في الكلمة من معنى : « ان وعد الامانة ، في الزواج ، يحوّل الهوى الى حب »^{١٦٢}.

وعد الزواج علني ، احتفالي ، يتلفظ المحبان به امام ممثلي المجتمع (المجتمع المدني او الجماعة الدينية او كليهما) وبحضور شهود . ذلك لأن الانسان بطبيعته كائن اجتماعي ، ولذا لا يتخذ وعده ملء قوته ورسوخه الا اذا أعلن امام الجماعة . بوعد كهذا تكتمل في الجنس الصفة الاجتماعية التي يتميز بها عند الانسان ، اذ يرتبط المرء صميمياً بآخر ، امام الآخرين ، طالباً من الجماعة البشرية ان تشهد على هذا الارتباط وان تعترف به^{١٦٣}.

ثانياً - الزواج مكان نمو الحب وتعميقه

هناك اعتقاد شائع الا وهو ان الزواج عدو الحب الالدود ، انه قتال للحب . هذا يصح بالنسبة لبعض مفاهيم الزواج كما سوف نوضح فيما بعد . الا انه مردود اذا فهمنا الرباط الزوجي في اصلته^{١٦٤} فالزواج ، في هذا المنظار ، ليس مكرساً لصفات الحب الاساسية وحسب ، كما راينا ، بل انه مكان نمو الحب وتعميقه .

ذلك انه المكان الذي يُكتشف الآخر فيه على حقيقته وبالتالي 'يحب' من أجل نفسه^{١٦٥}! فالحب قبل الزواج مشوب دوماً ، الى حد ما ، بالخيال . كل المحبين يتعشق صورة يرسمها في ذاته عن الآخر ، صورة تنبع الى حد ما من خياله وتلبور فيها ، كما يتن ستاندال في كتابه الشهير عن الحب ، رغباته واحلامه . نه ، الى حد ما ، واياً كان اخلاصه ، يحب في الآخر صور هواه ، انعكاس رغبته^{١٦٦} ولكن الزوجين يعيشان جنباً الى جنب مدى العمر ، لذا لا بد للصورة التي نسجها خيال كل منهما عن الآخر ان تصطدم عاجلاً او آجلاً بحقيقة هذا الآخر ، لا بد لكل منهما ان يدرك ان الآخر ليس ذلك الكائن الشبه الهني الذي « يملأ القلب » ويسكب لمحبه سعادة لا 'تُحد' ، انما هو كائن بشري محدود ومصدر خيبة لمن كان ينتظر منه أكثر مما يوسعه ان يعطي . تلك الخيبة لا بد لها من أجل تنقية الحب من عنصر الهوى . ذلك ان الهوى لا يحب الآخر على حقيقته ، انما يتعشق فيه « حلم خيال » يثير نشوته^{١٦٧} الهوى مركّز على هذه النشوة وليس على الآخر ، انه نرجسي بطبيعته . لذا لا يحب الآخر الا عن بعد ، لان هذا البعد يفسح المجال لفعل الخيال . هذا ما عبّرت عنه أسطورة الاميرة البعيدة . أما الزواج فهو المكان الذي 'يحب' فيه « القريب » ، ذلك القريب الذي بدا معرّى من ذلك الجلباب الساطع الذي كساه به سراب الخيال . هو المكان الذي يُضطر المرء فيه ان ينقي حبه لكي يدوم ، فيحب الآخر من أجل نفسه لا من أجل الاحلام التي جلببه بها^{١٦٨} هكذا ينمو الحب ويتعمق من خلال امتحان الحياة المشتركة في الزواج وتأزمها . هذا ما بيّنه ببلاغة وعمق الفيلسوف الشخصاني المعاصر دنيس دي روجمون في كتابه الشهير :

« الحب والغرب » ، يقول : « تلك هي الامانة : هي قبول نهائي لكائن بحد ذاته ، محدود وواقعي ، يختاره المرء لا كذريعة لنشوته او موضوع لتأمله ، بل كوجود فريد ومستقل الى جانبه ... »^{١٦٩} وأيضاً : « ان يختار المرء امرأة ليجعل منها زوجته ، هو ان يقول للآنسة فلانة : « أريد ان أعيش معك كما أنت »^{١٧٠}.

هذا يعني ان الزواج يجابه كلا من المحبين بنقائص الآخر . تلك النقائص ، التي لا يخلو منها كائن بشري ، كانت غائبة عن أنظار الحب في عهد الهوى ، او ، في حال ظهورها ، كانت تبدو لطيفة ، محببة . فالهوى ، كما هو معلوم ، يحول العيوب نفسها الى كمالات كما بتين مولير في مشهد شهير من مسرحية له^{١٧١} ولكن الحياة المشتركة في الزواج تسلط الاضواء على تلك النقائص ، لا بل تضخمها بالاحتكاك المستمر^{١٧٢}. عند ذاك يمرّ المحبتان بتجربة قد تكون قاسية : فأما رفض الآخر بسبب عيوبه ، مما يؤول الى خمود الحب وحقى الى فصم الزواج^{١٧٣}، وأما ان « يقبل أحدهما الآخر بحرارة وتفهم »^{١٧٤} على علته^{١٧٥} (هذا لا يعني بالطبع الموافقة على هذه العلل)^{١٧٦}، مما يدفع بالحب الى الامام اذ يجعله أكثر تجرداً . هنا ايضاً نرى ان الحياة المشتركة في الزواج هي بمثابة تحدٍ للحب : فأما ان يخذل او يموت واما ان يتقدم وينمو^{١٧٧}!

من جهة أخرى الحياة الزوجية محك للحب ومدعاة لنموه لانها دعوة دائمة الى تحقيق وحدة حقّة بين المحبتين . ذلك ان لكل من هذين ، قبل ان يتعايشا ، أفاء الذاتي المستقل . صحيح ان كلا من الذاتين كان متجهاً الى الآخر ، تائقاً اليه ، الا انه كان يملك خطّة رجعة يستطيع ان ينطوي اليه اذا شاء . الا

ان الحياة المشتركة تقطع الطريق أمام خط الرجعة هذا^{١٧٨}، وتدفع
الذاتين الى الاندماج في ذات جديدة تجمعها كليهما متجاوزة
فردية كل منهما . هذا الأنا وذاك يجب ان يلتقيا في « نحن »
الزوجي^{١٧٩} هذا لا يعني بالطبع ان تزول الفوارق بين الزوجين ،
ان يبطل كل تمييز بينهما^{١٨٠} ان حلا كهذا - على افتراض انه
ممكّن - يعني بالعكس موت الحب ، لان الحب لا يقوم الا على
اتحاد شخصين متميزين^{١٨١}، اذ ان هذا التمييز وحده يبقى على
حركة العطاء المتبادل . لذا يقول جان لاکروا : « ان حبا
يريد نفسه خالياً من صراع ليس سوى حب للذات متنكراً »^{١٨٢}
ان الابحاث الحديثة في الحياة الزوجية تشدد على الدور الایجابي
الذي تلعبه ليس فقط الفوارق بين الزوجين لا بل التوتر بينهما
أيضاً ، شرط ان يتجاوز المحبان هذا التوتر باستمرار دون
الغائه^{١٨٣} . فالخلافات نفسها التي تعكر الى حد ما صفو اتفاق
الزوجين قد تعتبر عن سعي عميق الى تكامل يغتني به كل منهما
بتجاوزه لذاته وقبوله اختلاف الآخر عنه^{١٨٤} . هذا يعني ان
الوحدة الزوجية ليست وحدة جامدة ، انما هي وحدة متحركة
ديناميكية ، يتحقق فيها الحب في صيرورة دائمة يتجاوزها
باستمرار مواقفه السابقة فينمو في الاصاله والعمق^{١٨٥}

ثالثاً - الزواج مكان خصب الحب

اخيراً الزواج هو مكان خصب الحب ، المكان الذي يرتضي
فيه المحبان ان يتجسد حبها في كائن جديد هو ثمرة لقاءهما
العميق المبتّر عنه باتصال جسديهما . هذا يعني ان الحجاب الذرية
الذي هو هدف الجنس الحيواني الوحيد ، لا يأتي ، رغم اهميته ،

بالنسبة للجنس الانساني ، الا في المرتبة الثانية . غاية الزواج الأساسية انما هي تحقيق الحب^{١٨٦}، اما الطفل فهو ثمرة هذا التحقيق ، امتداد وانعكاس للعلم الزوجي^{١٨٧}. على كل اذا كان انجاب الطفل لا يعني دفعه الى الوجود وحسب بل تأمين الشروط التي توفر له امكانية تحقيق انسانيته الى ابعد حد ، فمن الثابت الآن ، على ضوء علم النفس الحديث ، ان حب الوالدين احدهما للآخر يؤمن وحده لولدهما المناخ الصالح لمثل هذا النمو^{١٨٨}!

هذا لا يعني بالطبع اننا نقلل من اهمية الولد بالنسبة لمصير الحب نفسه^{١٨٩}. فالولد يجسد الحب الزوجي كما قلنا وبذلك يشكل رابطاً جديداً يجمع بين الزوجين^{١٩٠}: « هذا ما عبرت عنه تلك المرأة الشابة بقولها للرجل الذي تهواه دون ان يكون لها امل بالزواج منه : « انني لا اريد ولداً منك ، بل ولداً منك^{١٩١} » . ومن جهة اخرى ينقذ الولد الحب الزوجي من خطر الانطوائية التي هي ، في النهاية ، عدوة لدودة للحب ، لانها تحول الزواج الى قوقعة ينشد فيها كل من الزوجين رفاهيته ويتوصل تدريجياً الى اعتبار الآخر مجرد مصدر لهذه الرفاهية . الحب الزوجي لا يحتفظ باصالته الا اذا تجاوز نفسه بحركة مستمرة يفتح بها الزوجان الى ما هو خارج عنها وبالتالي يحافظان على حقيقة اللقاء بينها^{١٩٢}. لقد قال سان اكسوبري بحق ان الحب يقتضي ان يتطلع المحبان معاً في اتجاه واحد^{١٩٣}. هذا التجاوز الذي يحفظ للحب الزوجي اصالته يتم خاصة باتجاه الاولاد ، ولكنه لا ينحصر عند هذا الحد ، لان الزوجين يستمدان من حبها زخماً يتجهان به صوب الناس^{١٩٤} متعددين آمالهم وآلامهم ، مجاهدين معهم في سبيل مجتمع اكثر انسانية وغد افضل^{١٩٥}!

٢ - الاطار الزوجي لا يُغني عن المضمون

ولكن الزواج لا يحافظ على اصالته الا اذا بقي اطاراً محب وتمبيراً عنه . اما اذا غابت عنه هذه المعاني ، فإنه يتنكر لجوهره وينقلب على نفسه . قلنا ان المؤسسة الزوجية طار الحب ، ولكن الاطار لا يستمد قيمته الا من المضمون ، ولا دور له سوى ابراز هذا المضمون والمحافظة عليه . اما اذا وفقد المضمون ، فالاطار يصبح فارغاً ويفقد مبرر وجوده . هكذا فاعتبار المؤسسة الزوجية غاية بحد ذاتها ، بالاستقلال عن العلاقة الشخصية الصميمية التي تعطي وحدها للمؤسسة معناها العميق ، من شأنه ان يودي بالحب وان يشوه الزواج نفسه . هذا ما هو حاصل لسؤ الحظ في كثير من الاحوال ، مما يفسر الى حد بعيد الموقف السلبي الذي يتخذه الكثيرون من المؤسسة الزوجية من جهة وحالات التفسخ الزوجي الشائعة من جهة اخرى سواء تجلى هذا التفسخ بنسبة الطلاق والانفصال المرتفعة التي تثبتها الاحصاءات^{١١٦}، او بتلك الحالات الاكثر انتشاراً التي يحتجب فيها التباعد الوجداني بين الزوجين وراء واجهة من الحياة المشتركة والتعاون^{١١٧}.

كيف يتم هذا الفصم بين الاطار والمضمون^{١١٨} انه قد يحدث في منطلق الحياة الزوجية^{١١٩} تلك هي حال الزيجات المبنية على اسس مزيفة^{١٢٠}، كتلك التي تلعب الدور الاسامي في عقدها الاعتبارات العائلية او المصالح المادية وتلك التي تبنى على الشهوة وحدها . ويجدر بنا هنا ان ننوه ان من يقدم على الزواج مدفوعاً خاصة برغبته في التنفيس عن حاجة جنسية غريزية ،

لاعتباره ان الزواج هو الطريق الوحيدة لاشباع تلك الغريزة كون السبل الاخرى مسدودة بداعي العرف والتقاليد ، قلت ان من يقدم على الزواج بمثل هذا المنظار قد فصل منذ الاساس بين الزواج وما يعطي الزواج معناه الاصيل الا وهو اللقاء الصميمي الحر^{٢٠١} بين شخصين^{٢٠١}.

ولكن فلنذهب الى ابعد من هذا ولنفترض ان الزواج بُني في الاساس على حب اصيل . ان هذا الاساس الصحيح لا يجنبه بالضرورة خطر الانحراف . ذلك ان الانسان مهدد دوماً ، كما بتن مونييه ، بالضياع في تلك الاشكال والمؤسسات التي يحتاج اليها ليسكب مواقفه ويعتبر عنها ، فيصبح أسير بُنى أفرغت من معناها وقوالب جامدة هجرتها الحياة .

فقد كان المحبان قبل الزواج يجتهدان دوماً لكي يرضي احدهما الآخر ، فيعتبر هكذا عن حبه له ويستميله اليه بأن . لقد كانت تعابير الحب المستمرة المتبادلة تغذي العلاقة الوجدانية العميقة القائمة بينهما . اما بعد الزواج فكثيراً ما يرتاح أحدهما أو كلاهما الى المؤسسة الزوجية ، الى الرباط الاجتماعي الذي يشدهما الآن ، فلا يرى لزوماً لمتابعة تلك الحركة التي كان يتبعه بها باستمرار الى الآخر^{٢٠٢}! يعتبر أحد الزوجين او كلاهما ان الزواج وضع نقطة الختام لتلك الحركة ، التي هي جوهر الحب ، وانه لم يبق للمحبين سوى ان يستريحاً مطمئنين في ظل المؤسسة التي أحاطت حبهما بسور منيع . وبعبارة أخرى يعتقدان ان الرباط الاجتماعي الخارجي الذي اصبحت الآن قائماً بينهما كفيلاً بحد ذاته ان يبقى على الوحدة بين شخصيهما^{٢٠٢}.

هذا بالطبع خطأ فادح^{٢٠٤}، لان الأمانة الزوجية الحققة لا يمكن ان تكون نتيجة عقد اجتماعي وحسب^{٢٠٥}؛ لا يمكن لهذا العقد ان يحمي وعد المحبين الا اذا اقترن بفعل مستمر من كليهما ، فعلى يحافظان به على الحب وينميانه^{٢٠٦}. يقول فرنسوا دويكارتس ان وعد الأمانة العلفي يشكل « دخولاً احتفالياً في الحياة المشتركة ، ولكنه لا يشكل ضماناً عصماء »^{٢٠٧}. ويضيف انه ينبغي تحويل الرباط الاحتفالي الى رباط نفسي^{٢٠٨}؛ ان العلاقات الجنسية بين الزوجين حرية بأن تساهم في تكوين هذا الرباط^{٢٠٩}، شرط ان لا تتم بشكل آلي يحردها من دورها التعبيري ويفقدها بالتالي طعمها تدريجياً^{٢١٠}. يبين اندره الستانس في كتابه « الحوار والجنس » ان الاتصال الجنسي هو المكان الذي يجد فيه الحب الزوجي حقيقته وغذائه بأن ، ولكنه يضيف بأن ذلك اللقاء الجنسي بين الزوجين « انما هو ثمرة علاقتها كلها قبل ان يصبح غذاءها الجديد » ، وان الانسجام الجنسي ، وهو ثمرة علاقة اصيلة ، يتحقق من خلال مسيرة بطيئة تتطلب النفس الطويل^{٢١١}. بهذا المعنى أيضاً يحذر الدكتور لومير من تلك التفاهة التي قد تتسرب الى العلاقات الجنسية الزوجية ، فتزيل عنها طابعها الحوارى ، تفقدها معنى التبادل والمشاركة وتحولها الى عملية روتينية لا هدف لها وبالتالي لا جاذبية^{٢١٢}؛ عند ذاك يقول فرنسوا دويكارتس ، يتضاءل الاتحاد الزوجي شيئاً فشيئاً . فأما يؤول الى الانفصال ، او يتحول الى مجرد واجهة ومظاهر . وقد يحاول الزوجان الابقاء عليه بفعل مجهود الارادة وحسب ، عند ذاك يتحول الزواج الى قيد لغياب غنى الحياة العاطفية عنه ويصبح العالم الخارجى ، الذي لا بد من الاطلاع عليه ، مصدراً لتجارب دائمة . اما اذا سهر الزوجان على تغذية العلاقة الوجدانية التي

تجمع بينهما^{٢١٢}، اذا حرصا على جعل اتصالها الجنسي وسيلة للقاء حقيقي ، عند ذاك لن تسحرهما النداءات الخارجية ولو انها لا يستطيعان ان يبقيا تجاهها غير مباليين^{٢١٤}، انها ، بتعمقها في خبرتها الفريدة ، يحدان فيها ملء الحياة الشاملة . ذلك هو ، يقول دويكارتس ، الفارق بين الدون جوان والقلب الامين : فالأول يطارد دون جدوى الانوثة الابدية ، أما الثاني فإنه ، باقامته مع امرأة معينة علاقة فريدة ، « تزداد له الانوثة بحد ذاتها دون ان يسمى اليها »^{٢١٥}.

ان الخطر الذي يهدد الزواج بالزوال او بفقدان فحواه العميق هو اعتباره عقداً يعطي كلا من الزوجين حق الملكية على الآخر^{٢١٦}. لقد تصدى ماركس بحق للمفهوم الشائع في الزواج اليورجوازي الا وهو ان المرأة هي ملك لزوجها^{٢١٧}. الا ان القضية اعتمت من ان ترد الى مجرد انعكاس لنظام اقتصادي معين^{٢١٨}. هناك نزعة عميقة للتملك ، لا تقيم وزناً للشخص الآخر ، كامنة في أعماق النفس الانسانية وهي التي تفسر ، في آخر المطاف - دون ان يقلل ذلك من شأن العوامل الاقتصادية - كل أنواع الاستئثار والاستغلال ، أكان ذلك على صعيد تكديس الراسمیل^{٢١٩}، او على صعيد العائلة . تلك النزعة هدامة للزواج لانها بالواقع تنكر للحب الذي ليس الزواج سوى تكريسه . اذا اعتبرت الآخر ملكاً لي ، فقد شئتته وبذلك أزلت بيني وبينه تلك العلاقة الشخصية التي هي شرط الحب الاصيل^{٢٢٠}! عن مثل هذا الانحراف ، نجد مثلاً مفجعاً في رسالة زوجة نشرت بين رسائل أخرى في كتاب صدر حديثاً . تقول تلك المرأة متحدثة عن زوجها : « لم يكن يحبني . كان يحب في المرأة ، او بصورة أصح الانوثة التي كانت تناسبه . ولكنه عندما وجد انني كنت

شخصاً ، عندما صادف « أناي » ، وجد نفسه منزعجاً ، اذ لم يكن محتاجاً الى « أنا » ، الى شخص حيّ . منذ ذلك الحين أصبح في حياته شيء زائد ، لا مكان له . شيء او بالاحرى شخص كان ينكر عليه الحق بأن يكون وحده ، وحده مع شيء له ؛ شخص كان يبرز حقوقاً ، وقبل كل شيء الحق بأن يعترف به شخصاً فريداً ، متميزاً . لم يكن ذلك في طاقته . فابتعد ، وكأنه كان يشعر بأنه مهدد في ملكه . اصبحت بالنسبة اليه دخيلة : ذلك انني كنت اسمح لنفسي بأن أكون شخصاً فيما كان يطلب مني ان اكون شيئاً ، نموذجاً من الانوثة ، حلواً ومريحاً . لقد ابتعد ؛ حول نظره في اتجاه آخر ؛ وذات يوم وجد امرأة اخرى قبلت ، على ما يعتقد ، ان تكون شيئاً يملكه ،^{٢٢١}.

مكذا فان اعتبار الزواج صك ملكية ، هذا الاعتبار الذي قد يتسرب بشكل لا شعوري حتى الى قلب زوجين محبين ، يفسد الحب ويفرغ الزواج من معناه الحقيقي^{٢٢٢} ويحول الامانة الزوجية الى مجرد قيد خارجي يجمع الاجسام عنوة ولكنه لا يستطيع الحؤول دون تباعد القلوب^{٢٢٣}.

يقول احد ابطال رواية بول اندره ليسور « الكلى والقلوب ، لزوجته : « كونك لي لا يمكن ان يمنحك من ان تكوني لنفسك ، وإلا اصبحت مجرد شيء . ولو استسلمت لغيرتي ، لأنكرت عليك صفة الكائن البشري . ولكنني احب كائناً بشرياً . لا اتصورك مقيدة ، بل حرة ومرددة لي في كل لحظة » نعم ، زواجنا . الغيرة تطالب كأنها مباشرة محكمة ، انها تبرز عقوداً وعوداً ، تطالب بحقوق . ان كل ما تعطيني اياه مجاني »^{٢٢٤}

أن الأمانة الزوجية الحقة هي إذا داخلية وليس فقط خارجية ، انها موقف يتخذه المرء بحرية ولا يفرض عليه كغيره^{٢٢٥}. ليست أسراً انما موقف ايجابي ، خلاق . يقول دنيس دي روجمون : « ان الأمانة في الزواج لا يمكن ان تكون ذلك الموقف السلبي الذي يتخيلونه عادة . لا يمكن ان تكون سوى فعل . الاكتفاء بعدم خيانة الزوجة دليل فقر لا دليل حب »^{٢٢٦} هذا يفترض ان حركة اللقاء ، التي هي كما قلنا فحوى الجنس الانساني ، لم تتوقف عند عتبة الزواج بل تابعت مسيرها ضمن المؤسسة الزوجية لتحفظ لتلك المؤسسة معناها الاصيل . هذا يعني اذاً ان الزواج ليس ، كما يعتقد الكثيرون ، نهاية (كما في القصص التي تنتهي بزواج البطلين ثم يُسدل الستار) ، انما هو بالواقع بداية الطريق الطويلة التي ينبغي للحب أن يسلكها لكي يحقق ذاته قدر المستطاع^{٢٢٧}. الحب ، كما يقول الدكتور اندره برج ، هو في الزواج خلق مستمر^{٢٢٨}.

حواشي الفصل الثاني

١ - يقول الدكتور اندره مورالي - دانينوس :
« ... يبدو بوضوح ان أسمى و أسعد تحقيق للجنس يوجد في
الحب المتبادل » .

Dr. André Morali-Daninos : Evolution des mœurs sexuelles, p. 133, Casterman, 1972.

وتحدد جاكليين برجرية هذا الحب بقولها :
« الحب هو استقبال « شخص » من قبل آخر ، ولكنه الاستقبال
الأكثر حقيقة واكتمالا » .

Jacqueline Bergeret : Suite pour Eve. La Femme et sa Psychanalyse, p. 215, Le Centurion, 1973.

٢ - راجع :

Abel Jeannière : op. cit., p. 197.

يقول ارنست ال بهذا الصدد :

« ان الحب الاول ، الذي موضوعه الانسا ، يجب ان ينضج
ويتحول الى حب الأنت . ولكون هذا الأنت الجديد مهما بهذا المقدار
لخيري انا ، لكونه « كل شيء » في خبرتي المعاشة : لذا فانه ينبغي
ان يهمني خيره بمقدار ما يهمني خيري الخاص . انني بسعيي الى
خير الآخر ، اضمن بأن واحد خيري الذاتي . صحيح ان هذا الحب
للآخر لا يزال مطبوعا بحب الذات ، انما بمعنى ليس سلبيا وانانيا » .

Ernest Ell : De l'Enfant à l'Adulte. Les Etapes de la vie affective et sexuelle, p. 228, Le Centurion, 1971.

ويقول الكاتب نفسه في مكان آخر :

« ان الحب أكثر بكثير من الحاجة ، لأن الحاجة تبغي الأخذ ،
بينما الحب يبغي العطاء . ولكن سر تلك المعجزة الطبيعية ، ان المرء
يعطي في اللحظة نفسها التي يعتقد فيها انه يأخذ . في الحب ،
العطاء والأخذ لا ينفصلان . فحاجة الواحد ، اي في الظاهر انانيته ،
تصبح مصدر سعادة للآخر ، لأن الواحد لا يستطيع ان يعطي الا لان
الآخر بحاجة الى هباته . فلا احد منهما يأخذ وحده او يعطي وحده .
كل منهما يعطي ويأخذ بأن واحد ، وذلك بكامل انسانيته ، على كل
اصعدة كيانه » .

op. cit., p. 61.

٣ — راجع :

Pierre Antoine : Sens de la sexualité et recherche d'une éthique, in Sexualité humaine, pp. 330-331.

André Alsteens : Dialogue et Sexualité, p. 333, Ed. Casterman, Tournai, 1969.

٤ — راجع :

Erich Fromm : op. cit., p. 38.

Abel Jeannière : op. cit., p. 180.

Louis Millet : l'Agressivité, pp. 160-161, p. 189, Ed. Universitaires, Paris, 1970.

يقول دنييس فاس :

« ... الحب هو تلك القوة التي تتحد الكائنين في الفعل نفسه الذي يؤكد الفارق الجذري بينهما » .
وايضا :

« ... الحب حياة ، حياة تجمع المتفارقات فيما يفرق بينها » .

Denis Vasse : Le Temps du désir, pp. 63-64, Seuil, 1969.

٥ — يذكر اوسفالت كوله هذا الاعتراف لشاب خبر سطحية
المجون :

« عند ذاك تبين ان سلوكي الماضي كان بمثابة سلوك عالم طبيعي ينتقل من موضوع بحث الى آخر دون ان يقوم في حال من الاحوال بدراسة عميقة للأشياء » . راجع :

Oswalt Kolle : Expérience de l'amour moderne, pp. 242-243, Robert Laffont, 1970.

٦ — كثيرا ما يتصور المرء تضاربا بين الحب واللذة . ولكن الفكر العلمي الحديث اثبت عكس ذلك ، مبينا ان اللذة لا تتخذ كل عمقها ومداها الا بالحب . واليك بعض الشواهد عن ذلك .

يقول كارل غوستاف يونغ :

« ... ان الحياة الجنسية لا تكتمل الا عندما يوجد تناغم موفق بين النفس والغريزة » .

C.-G. Jung : Psychologie de l'Inconscient, p. 61, Georg, Genève, 1973.

ويقول الاخصائي الكبير في شؤون الجنس ، اوسوالد شوارز :

« عندما يكتمل الاتحاد بين رجل وامرأة ، عند ذاك يهب الجسد بالمقابل بسخاء ملوكي » .

Oswald Schwarz : Psychologie sexuelle, p. 100, P.U.F., Paris, 1952.

ويقول ارنست ال :

« ... ان الاتحاد الجنسي ، عندما يكون فعل حب بالجسد ،

يصبح عند ذاك اقوى رمز لوحدة الزوج العميقة ، ويمثل إحدى قمم

الوجود البشري ، في اتحاد الاجساد والنفوس ، في وحدة كاملة بين
انا وانت » .

ويضيف في مكان آخر :

« ليست اللذة مصدر الحب . ولكنها ، اذا اشبعنا بالحب
وعيشنا معا ، تسمح باختبار اعماق اتحاد ، في النشوة ، ذلك الاتحاد
الذي هو ينبوع دائم التجدد للسعادة والفرح » .
وايضا :

« ان النشوة النفسية تتطلب الانتعاش (هزة الجماع) الحيواني .
والخبرة الجسدية ، من جهتها ، لا تتخذ كل معناها الا اذا احيتها
النشوة الداخلية » .

Ernest Ell : De l'Enfant à l'Adulte, p. 17, p. 246, p.

248.

وتوضح اوديت تيبو ان الانتعاش الحقيقي انما هو نابع من
مشاركة الحواس والعاطفة . وتذكرنا بما قاله رايش من ان لا أهلية
حقيقية للانتعاش دون نضج نفسي عاطفي . ولكن مقياس النضج
النفسي العاطفي انما هو القدرة على التأليف بين العاطفة
والرغبة . لذا تقول الكاتبة بأن الحب هو الذي « يعطي العمل
الجنسي كل معناه ، وحظه بأن يؤول الى اعلى حد من الانشراح .
يمكن القول بأن افضل مثير جنسي انما هو الحب » . وتضيف
اوديت تيبو : « ان « طعم الرماد » الشهير الذي يصفه الادب ،
تلك المرارة المزعومة التي تتبع العناق ، تبدو لي الاشارة الصحيحة
الى وجود تفكك بين الرغبة والحب » . هذا صحيح خاصة بالنسبة
للمرأة ، اذ ان « الرغبة واللذة الجسدية مرتبطان بشكل او ثقل
بعاطفة الحب عندها مما هي الحال عند الرجل . ومعلوم ان كثيرا
من حالات البرودة الجنسية النسائية تعود الى كون المرأة غير
راضية على الصعيد العاطفي » . راجع :

Odette Thibault : Le Couple, aujourd'hui, pp. 32-34,

Casterman, 1971.

اورد اخيرا هذه الشهادة لنايل ، مؤسس مدرسة سومر هيل ،
وهو ابعد الناس من التزمت الخلقي :

« ان الدون جوان يحقق في الظاهر عنصر اللذة في الجنس فيما
يرفض عنصر الحب (...) اما الانسان الخلق الجديد ، فانه
سيكتشف ان عليه ان يحقق وظيفتي الجنس الاثنتين ، اي انه ،
ان لم يحب ، فلن يجد اللذة الاقصى في العمل الجنسي » .

A.S. Neill : Libres enfants de Summerhill, p. 198,

Maspéro, 1973.

٧ — راجع :

Abel Jeannière : op. cit., p. 199.

٨ — راجع :

Abel Jeannière : op. cit., p. 170.

٩ — راجع :

Pierre-Henri Simon : Le Monde, supplément au No. 7098, 8 novembre 1967, p. 1.

Lettres d'amour de François et d'Antoinette, pp. 188-189.

١٠ — راجع :

Françoise Mallet-Joris : Les Signes et les Prodiges, p. 185, Ed. Grasset, Paris, 1966.

١١ — راجع :

F. Mallet-Joris : op. cit., pp. 196-200.

١٢ — راجع :

F. Mallet-Joris : op. cit., p. 197.

١٣ — راجع :

F. Mallet-Joris : op. cit., p. 196.

١٤ — راجع :

F. Mallet-Joris : op. cit., p. 198-199.

١٥ — راجع :

Paul Eluard : Dominique aujourd'hui présente, cité par François Chirpaz : Dimensions de la sexualité, p. 421.

يخاطب اراغون المحبوبة قائلا :

« من اكون بدونك يا من اتيت للقائي ... »

« من اكون بدونك سوى قلب في الغاب النائم ... »

« لقد تعلمت منك كل شيء عن الامور البشرية »

« واخذت منفذ ارى الكون على طريقتك »

« لقد تعلمت كل شيء منك كما يشرب المرء من الينابيع »

« كما تقرأ في السماء النجوم البعيدة ... » .

Louis Aragon : Prose du bonheur et d'Elsa, in Poésies, pp. 218-219, cité par Michel Dansereau : Freud et l'Athéisme, p. 170, Desclée, 1971.

١٦ — راجع :

Frédéric Nietzsche : Par delà le bien et le mal, p. 136, Coll. «10-18», Union générale d'éditions, Paris, 1962.

١٧ — راجع : سهيل ادريس — الحي اللاتيني — منشورات دار الآداب ، الطبعة الخامسة ، بيروت ، نيسان ١٩٦٥ ، ص ١٢١ — ١٢٢ .

يقول الروائي الايطالي الكبير البرتو مورافيا :

« الحب هو بالتأكيد وقبل كل شيء عاطفة ، ولكنه ايضا اتحاد

اجساد لا يوصف وشبه روحي ... » .

Alberto Moravia : Le Mépris, p. 32, «Le Livre de poche», Paris, 1967.

١٨ - راجع :

Lettres d'amour de François et d'Antoinette, p. 120.

١٩ - تقول ماري تيريز فان ايكوت :

« في هذا المنظار السليم والانساني بالحقيقة ، يفقد الاتحاد الجنسي التباسه ليصبح بالحب نمطا خاصا من التعبير ، لحظة لقاء خارق ، يحاول بفضلها الأنا والأنثى ان يقتربا احدهما من الآخر الى اقصى حد : « في الحب ، الجسد شفافية ، شفافية الأنثى » (بينسونغر) .

Marie-Thérèse Van Eeckhout : Nos enfants devant la sexualité, pp. 12-13, Casterman, 1966.

ويقول المحلل النفسي الكندي ميشال دنسرو :

« في علاقة بين الجنسين متطورة ، تتخذ حركات الجسد معنى روحيا : انها تنطق بالحب (...) يتجاوز الجسد التباسه ليصبح انفتاحا الى الكون » .

ويضيف في مكان آخر :

« يصبح الجسد ... مندمجا في الروح ، تتم اخيرا المصالحة بينهما » .

Michel Dansereau : Freud et l'Athéisme, p. 148, p. 170.

لذا صح قول الكاتب الفرنسي جاك دي بوربون - بوسيه :

« لا علاقة البتة بين فعل الحب دون حب وفعل الحب بحب » .

Jacques de Bourbon-Busset : Radioscopie du bonheur, p. 81, in Oui au bonheur, Semaine des Intellectuels Catholiques, 1970, Desclée de Brouwer, 1970.

عن تفاهة الجنس المفرغ من معناه ، يقدم لنا البرتو مورافيا شهادة قوية في روايته « الاحتقار » ، حيث يصور لنا ، في صفحات رائعة ، كيف أدرك المتحدث ، بطل الرواية ، ذات يوم ، ان زوجته لم تعد تحبه .

في ذلك اليوم ابدت الزوجة استعدادها لمضاجعته اذا شاء ، وتأهبت بالفعل لعناقه ، ولكنه امام جسدها العاري المقدم لم يعد يشعر بأية رغبة ، لان كل ذلك فقد بنظره معناه العميق :

« لم اعد ارى نفسي امام المرأة التي كانت تحبني وكنت احبها ، بل امام بغي بدا عليها شيء من قلة الخبرة وفراغ الصبر ، بغي كانت تتأهب للخضوع السلبي لعناقي راجية ان يكون قصيرا وغير متعب (...) فنهضت فجأة دون ان التفت الى الوراء : « آسف ، قلت ، لم يعد ذلك يعني لي شيئا ... سأذهب لانام في الغرفة المجاورة ... » .

Alberto Moravia : Le Mépris, pp. 35-38.

٢٠ — راجع :

Marc Oraison : Pour une éducation morale dynamique, p. 91, Mame-Fayard, 1971.

٢١ — راجع :

François Chirpaz : L'Intention de rencontre, pp. 1834, 1838.

٢٢ — راجع :

Pierre Antoine : op. cit., p. 332.

٢٣ — راجع :

Jean Lacroix : Force et Faiblesses de la famille, p. 98, Ed. du Seuil, Paris, 1957.

Dr. André Berge : La Sexualité aujourd'hui, p. 136, Casterman, Tournai, 1970.

٢٤ — راجع :

Denis de Rougemont : Comme toi-même, pp. 250-253, Ed. Albin Michel, Paris, 1961.

٢٥ — راجع :

Les Lettres d'amour de François et d'Antoinette, pp. 63-66.

Henry Tavoillot : Une expérience d'éducation sexuelle, pp. 182-185.

٢٦ — راجع :

François Chirpaz : Dimensions de la sexualité, p. 422.

٢٧ — في رواية جوزيف كيسيل ، « وردة جاوا » ، يصور لنا الكاتب ملازما طيارا فرنسيا شابا ، زير نساء ، متأجج الشهوة ، وقد استطاع ان يستميل فتاة اوراسية رائعة الجمال ، تدعى فلورنس ، فوهبت نفسها له وامتلكها بجنون . يقول الشاب راويا تلك الليلة المسعورة :

« ... بها انني كنت ، في تلك اللحظات ، احب نفسي لانهايا من خلالها ، اعتقدت ، في تلك الليلة ، انني احب فلورنس » .

Joseph Kessel : La Rose de Java, p. 166, «Folio», 1972.

٢٨ — هذا الموقف ، عبر عنه الكتاب بعدة نماذج روائية . اذكر منها على سبيل المثل ما يصوره لنا جيلبير دوبه ، في روايته « مزرعة المشنوق » ، من نفسية احد ابطاله ، جان — له — روجيه ، وهو رجل شهواني يقول الكاتب عنه :

« عندما كانت سلطة الجنس تحركه ، لم يكن جان — له — روجيه يرى شيئا من المخلوقات ، سوى انها كانت تتحول كلها فجأة الى انثى واحدة ، لها نفس النهدين ، ونفس الفخذين ، ونفس الحضن . ولم يكن للرأس حساب عند ذاك » .

Gilbert Dupé : La Ferme du pendu, pp. 27-28, «Collection Pourpre», 1954.

وعن اماندا ، شقيقة جان المذكور ، والشبيهة به من حيث تشبى ، يقول الكاتب واصفا احدى مغامراتها الغرامية مع احدى الأحداث :

« كانت ولا شك تحب هذا المراهق ، كما سوف تحب سواه غدا . كانت تهوى الهوى الذي يحتاج الى وجه وجسد الرجال » .
op. cit., p. 39.

وفي رواية « الفتيات » لهنري ده مونترلان ، نرى الاباحى بيار ده كوستال ، بطل الرواية ، يفضي بوقاحة بما يلي :

« لست ممن يصرون امام ممانعة امرأة ، فاذا فقدت واحدة منهم ، وجدت مائة عوضا عنها ، كل ذلك قابل للاستبدال » .

وعن آخر امرأة وقعت في حبه ، يقول :
« احب ان اشعر باننى لا احبها اكثر من ذلك ، واننى هكذا ابقي حرا ، فأخذ من هذه اللهاة ما اشاء » .

Henry de Montherlant : Les Jeunes filles, p. 208, Gallimard, Paris, 1954.

وحيث ان الرغبة الجنسية تنفك بصعوبة عند النساء عن حاجتهن الى ان يكن محبوبات ، فانهن يعانين بشكل اخص من موقف كهذا . يقول اوسفالت كوله ، في معرض حديثه عن الحجج التي يستعملها الرجال اليوم ليقنعن النساء بأن يمنحنهم ذواتهن :

«... ان جملة تنفرهن بشكل خاص : « سأفتش عن سواك » .

ليس لانهن يخفن بالحقيقة من خسارة صديق ، بل لانهن يشعرن بصلافة هذا التهديد (...) ويترجمونه على الوجه التالي :
ما يهواه هذا الرجل ، ليس انت ، انت في كيانك الفريد . انك قابلة للاستبدال . لا يهمه من يشاركه الفراش ، شرط ان يكون شىء نسائي » .

ويضيف الكاتب :

« لماذا يحول كبرياء الرجال دون فهمهم هذه الامور ؟ لو تجرات اية فتاة على ان تكلمهم بمثل ذلك ، لنعتوها بأنها بغي ... » .

Oswalt Kolle : Ta femme cette inconnue, p. 51, Casterman, 1970.

٢٩ — هذا ما تعبر عنه بشكل لافت كلمة رواها احدهم عن صديق له عرف المجون ثم اكتشف الحب الحقيقي ، فقال لصديقه :
« لقد كنت حتى الآن احب مجرد اجساد : اما الآن فقد احببت وجها » .

وبما ان موضوع الحب هو شخص ، لذا فالحب الحقيقي يتناول الآخر في جملة كيانه ، مما يشمل الصعيد الجسدي الحسي ،

والصعيد العاطفي ، والصعيد الروحي . راجع :
Ernest Ell : De l'Enfant à l'Adulte, pp. 188-189, 238.
Lettres d'amour de François et d'Antoinette, pp. 35-38.
٣ - راجع :

Paul Evdokimov : Sacrement de l'amour, p. 233.
هذا ما اكتشفه شاب كان يتوهم قبلًا أنه باستعماله الفتيات
لقضاء شهوته ، يستطيع أن يعرف ماهية المرأة ، فلما أحب فتاة
بالحقيقة انقلبت مفاهيمه وأدرك أنه لم يكن بوسعها أن يصرف
المرأة عن طريق تشيئتها ، وأنه بالعكس يستطيع ، عبر اكتشافه
لحبيبته كشخص فريد ، أن يطل من خلالها على النساء عامة :
« أما الآن فأنا أريد أن أتعرف بفتاة واحدة هي س. وكان بقية
الفتيات غير موجودات . وبها أستطيع أن أعرف بنات جنسها » .
فالتر تروبيش : أحببت فتاة . مراسلات خاصة بين شاب وشابة
أفريقيين وراعيهما . نقلها إلى العربية يوسف قسطه . الطبعة
الثانية ، ص ٩٣ - ٩٤ ، دار منشورات النفر ، بيروت ، ١٩٧٣ .
٣١ - يقول مارك أوريزون :

« أن الرجل الذي « يهب ذاته » لعدة نساء لا يهب ذاته البتة ،
أنه يأخذ ، هذا على نقيض الحب تمامًا . » .

Marc Oraison : L'Harmonie du couple humain, p. 51,
Les Editions Ouvrières, Paris, 1968.

أما المحلل النفسي جورج موكو ، فإنه يقيم اختبارات « التحرر
الجنسي » التي تنزع إلى استبدال مؤسسة الزواج الأحادي
« بتجمعات جنسية » تقبل باستبدال الشركاء أو بممارسة جماعية
للجنس بشكل تهتك منظم ، قائلاً :

« لا يوجد تزامن عاطفي . لا يمكن للمرء أن يحب كائنات بآن
واحد . حتى في العريدات التي تتشابك فيها الأجساد ، يوزع الجسد
ولكن النفس لا توزع . تبقى رغبة الحب مركزة على شخص
رئيسي ، أما الآخرون فمجرد صور . حتى العازبون المنتمون إلى
« تجميع جنسي » ذات علاقات لا تحصى ، لهم تفضيل ... » .

هذا ما يفسر تلك الظاهرة التي يبينها المؤلف ، وهي أنه « أن
كانت هذه الاختبارات الجماعية تزداد عددًا ، فهناك أيضًا كثير ممن
يهجرونها عن خيبة وقرص ويعودون إلى الحياة التقليدية » .

لا بل « على سبيل المفارقة ، فإن تلك المحاولات التي تبني
رفض مؤسسة الزواج تؤدي في كثير من الحالات إلى تثبيتها . فإن
ربع الممارسين لهذه الاختبارات يصرحون بأنهم « انقضوا زواجهم »
وثلاثون بالمائة يقولون بأنهم حسنوه . يظهر إذا أن المشتركين في
هذا « التحرر الجنسي » لا يستطيعون أن يلفوا تلك الحاجة
الأساسية إلى حب كلي وحصري الكامنة في كل كائن بشري ... » .

Georges Mauco : Les Célibataires et le Célibat, pp 196-197, Aubier-Montaigne, 1973.

راجع ايضا :

Ernest Ell : op. cit., pp. 195-196.

٣٢ — راجع :

Ernest Ell : op. cit., pp. 196-197.

٣٣ — « كان الشاعر روم . ريلكه يقول : « الحب هو ديمومة » ، مشيرا بذلك الى ان كل تعلق عميق له مشروع « استمرار » .

Rolande Dupont : Le Conseil conjugal et familial, p. 55, Casterman, 1972.

٣٤ — راجع :

Gabriel Marcel : Foi et Réalité, p. 78, Coll. «Foi Vivante», Aubier-Montaigne, Paris, 1967.

٣٥ — راجع :

Violette Morin et Joseph Majault : op. cit., p. 120.

تقول اوديت تيبو :

« ليس من باب الصدفة ان كلمة «amour» (الحب) ، هي لاغنية ، ترد على قافية «toujours» (دائما) .

Odette Thibault : Le Couple, aujourd'hui, p. 22.

وعن وجود هذه النزعة الى ديمومة الحب حتى عند المتهتكين ، يقدم لنا الروائي الفونس دوديه نموذجا في شخص الاباحي ديشيليت الذي اخذ على نفسه الا يقضي اكثر من ليلة مع كل امرأة يعاشرها ، ثملا تعوزه الشجاعة على هجرها . يقول :

« (قال) ما اربح هذه القطيعات ... وبدت في صوته الهاديء والساخر نبرة من الرقة والشفقة اللامتناهية ... لقد عاش الاثنان سنوات معا ، وناما ملتصقين احدهما بالآخر ، ومزجا احلامهما وعرقهما . لقد باحا بكل شيء احدهما للآخر ، ووهبا كل شيء . لقد اتخذا عادات ، طرقا في السلوك والكلام ، واخذ كل منهما ملامح من الآخر . اصبحا متصلين من الرأس الى القدمين (...) ثم فجأة اذا بهما يفترقان ، ينتزع كل منهما ذاته من الآخر ... كيف بفعلان ؟ من اين تأتيهما الشجاعة ؟ ... اما انا ، فلا قدرة لي على ذلك ... نعم ، ولو خدعت واهنت ولوثت بالسخرية والوحل ، ثم بكت المرأة وقالت لي : « ابق » ، فلن اذهب ... ولهذا السبب ، فاذنا اخترت احدها ، لا آخذها ابدا الا لليلة فقط ... » .

Alphonse Daudet : Sapho, p. 50, «Les Meilleurs livres français», 1950.

وتشهد المرشدة الزوجية مـرغريت لمبير ، بأن « حاجة الى الاستقرار تظهر ، على مر الايام ، عند اكثر الناس تمسكا « بالحب

الحر » . وتقدم لنا نموذجاً عن ذلك شهادة امراه تدعى كارين في الخامسة والعشرين من عمرها . هذه ، بعد ان عاشت مع صديق لها خمسة اعوام كانت في اثنائها تغازل سواه من الرجال ، حتى انها ذهبت في وقت من الاوقات مع احدهم ، صرحت : « يجب ان نتزوج ... انني اشعر بحاجة الى شيء من الاستقرار لحبنا ... لقد ربطنا الحب اكثر بكثير مما كنا نعتقد » . راجع :

Marguerite Lambert : *Amour vécu. Journal d'une conseillère conjugale*, p. 63, Resma, 1973.

راجع ايضا :

Dr. Bernard Muldworf : *L'Adultère*, p. 91, pp. 179-180.

٢٦ — راجع قصة نجيب محفوظ : قبيل الرحيل ، في :
نجيب محفوظ : بيت سيء السمعة ، ص ٧ — ١٦ ، دار القلم ،
بيروت ، ١٩٧١ .

٢٧ — راجع :

François Duyckaerts : *op. cit.*, p. 272.

٢٨ — راجع :

Morin et Majault : *op. cit.*, p. 120.

Denis de Rougemont : *Comme toi-même*, pp. 102-104, p. 115, pp. 148-150, p. 159, p. 227, Albin Michel, Paris, 1961.

٢٩ — يقول دنييس فاس :

« ان الاتحاد الجنسي لا يتحقق بصورة انسانية الا في افق مشاركة ، وحدة حياة ، في الوحدة الوحيدة التي تحقق امنية المحبين ، اي الوحدة التي تدوم . ان الوحدة التي تدوم تضمن وجود الفوارق في الزمن ، اذ ان فقط ما يدوم يملك الوجود . ان الاثنين لا يصبحان واحدا الا بشرط ان يبقيا اثنين » .

Denis Vasse : *Le Temps du désir*, p. 79.

ويقول مارك اوريزون :

« في الحب ، لا يستطيع المرء ان ينظر حقيقة الى الآخر على انه شخص الا اذا التزم ان يسلك معه الطريق كلها . والا فانه — شاء او ابى ، وعى ذلك او لم يعيه — ينظر الى الآخر على انه شيء مسكر ، مرغوب ، مرضي او مريع ، وليس على انه شخص يوازي شخصه بالاهمية ، له سره الخاص ومصره الخاص » .

Marc Oraison : *L'Harmonie du couple humain*, p. 90.

٤٠ — راجع :

Dr. Bernard Muldworf : *L'Adultère*, p. 137.

٤١ — يقول المحلل النفسي كارل ستارن :
« عند الذين يبقون غير منتمين ، تتحقق العودة الابدية ،

مالمودة الرهيبة لنفس الاختبارات تحتل مكان نكران الذات . انها حلقة سيسيف المفرغة . ان رفض دون جوان وغوست ينشأ من 'الجزع (جزع الموت عن الذات) الذي يقودهم الى قلق الذين لم يفتدوا » .

Karl Stern : Refus de la Femme, p. 220, Mame, 1969.

ويقول أ.س. نايل :

« ان الفوضى الجنسية ترتبط بالمصائب النفسي ، انها تبديل مستمر للشريك على أمل احتمال وجود المناسب . ولكن الشريك المناسب لا يوجد ابدا ... » .

« ... ان الحب الحر هزيل لانه فسق لا حنان فيه ، ولا حرارة ، ولا تعلق حقيقي » .

« ... ان الفوضى الجنسية تؤول الى التنوع ، ولكنها نادرا ما تقود الى الانشراح ولا تؤدي ابدا الى السعادة » .
ويقدم لنا هذا الشاهد :

« قالت لي امرأة شابة ذات يوم ، بعد ان عاشت فترة من نفوضى الجنسية : « انني لأول مرة ، مع بيل ، اعيش حياة جنسية منسرحة » . فسألتها لماذا للمرة الاولى . « لانني احبه بينما لم اكن احب الآخرين » .

A.S. Neill : Libres enfants de Summerhill, p. 210. Maspéro, 1973.

ويقدم اوسفالت كوله من جهته الشهادة التالية :

« ان احد الطلاب في ميونيخ ، الذي كان يتبجح بفتوحاته الخاطئة التي لا تحصي ، صرح لي يوما ان كل ذلك لم يكن بالفعل مرضيا ... » . راجع :

Oswalt Kolle : Expérience de l'amour moderne, pp. 98-99.

٤٢ — راجع :

Majault et Morin : op. cit., p. 121.

٤٣ — يقول ب. غريلو :

« الحب (في المجون) يفلت من مشكلة الزمن ، يتهرب من مسألة الامانة ، بالطريقة التي يتحقق بها . ولكنه يدفع ثمننا باهظا . فانه يبتري اللحظة العابرة عن كل التزام سابق او مستقبل ، يفرغها من كثافتها البشرية ، في الوقت نفسه الذي يعطيها فيه قيمة مطلقة خيالية بالكلية . « يكونان جسدا واحدا » ، قسال سفر التكوين (٢ : ٢٤) ، انها ، في الحالة التي نحن بصدددها فقد السلوك معناه . لم يعد سوى صورة (راجع ١ كورنثوس ٦ : ١٦) ... » .

P. Grelot : Le Couple humain dans l'Ecriture, p. 117.

٤٤ — يقول يواكيم بودامير :

« لقد نسينا بسهولة مفرطة ان القدرة على الحب ليست شيئاً
نناله دون مساهمة منا ، ولكنها قصد انساني الى اعلى حد ، اداء
من الارادة يجب ان نكتسبه ، عمل يتطلب تضحيات ويحتاج الى
تدريب مستمر » .

Joachim Bodamer : Sexualité, Amour et Névrose,
p. 44.

٤٥ — راجع :

Erich Fromm : op. cit., p. 148.

Dr. Bernard Muldworf : L'Adultère, pp. 187-188.

٤٦ — راجع :

Gabriel Marcel : Etre et Avoir, pp. 154-155, p. 243,
Ed. Aubier-Montaigne.

٤٧ — راجع :

Marc Oraison : Niveau Psychologique nécessaire à
l'engagement dans une «Vocation», in Psychologie mo-
derne et Réflexion chrétienne, Ed. Fayard, Paris, 1953,
pp. 116-124.

٤٨ — راجع :

S. Freud : Essais de Psychanalyse appliquée, cité par
A. Plé : Freud et la Morale, p. 92.

٤٩ — راجع :

S. Freud : «Civilized» Sexual Morality and Modern
Nervous Illness, cité par A. Plé : op. cit., p. 117.

يقول فرويد :

« ان نمو الغريزة الجنسية يتجه ... من الشهوة الذاتية الى
حب الموضوع ... » . راجع :

S. Freud : La Morale sexuelle civilisée et la maladie
nerveuse des temps modernes (1908), p. 34, pp. 34-35,
in La Vie sexuelle, P.U.F., 1970.

٥٠ — راجع :

Dr. Ch. H. Nodet : Psychanalyse et Sens du péché, in
Revue française de Psychanalyse, t. XXI, No. 6, nov.-déc.
1957, p. 805.

يقول ج.م. بوهيه :

« ان الاتجاه الى الآخر من حيث هو آخر اكتساب عاطفي
متأخر ، وهو أكثر تأخراً من اكتساب الفكر التجريدي على صعيد
الذكاء ... » .

J.-M. Pohier : Psychologie et Théologie, pp. 126-127,
Cerf, Paris, 1967.

راجع ايضا :

Dr. André Laforgue : Clinique Psychanalytique, p. 164, Ed. du Mont-Blanc, Genève, 1964.

Dr. André Berge : L'Enfant au caractère difficile, p. 175, Hachette, 1970.

Dr. Charles Odier : L'Angoisse et la Pensée magique, p. 20, Delachaux et Niestlé, 1966.

Jacqueline Bergeret : Suite pour Eve, p. 73, Le Centurion, 1973.

٥١ — راجع :

Marc Oraison : L'Harmonie du couple humain, p. 75.

٥٢ — يوضح مارك اوريزون أن مثال التوازن الراشد هو الاعتراف بالشريك الجنسي على أنه شخص . راجع :

Marc Oraison : op. cit., pp. 26-27.

راجع أيضا :

Otto Fenichel : La Théorie psychanalytique des névroses, tome I, pp. 103-104, P.U.F., 1953.

٥٣ — يقول أرنست ديشتر :

« (ان حب) الطفل يتصف جوهريا بمرئية الانا . فالطفل يريد أن يأخذ ، يفتش عن براهين تعبر له عن حب الآخرين له . ينزع الى مطابقة العائلة به أكثر منه الى مطابقة ذاته بالعائلة ... »

Ernest Dichter : La Stratégie du désir, p. 214, Fayard, 1970.

ويقول جورج موكو :

« ... لا يحب الطفل الا بالاضافة الى نفسه » . راجع :

Georges Mauco : L'Inconscient et la Psychologie de l'Enfant, p. 26, P.U.F., 1970.

ويقول أ.س. نايل :

« الطفل لا يحب ، فقط يريد أن يكون محبوبا » .

A.S. Neill : Libres enfants de Summerhill, p. 285.

٥٤ — راجع :

Michel Richard et coll. : La Psychologie et ses domaines, pp. 177-178, Chronique sociale de France, 1971.

٥٥ — راجع :

Dr. Ch. H. Nodet : Sexualité et Situation, in «Esprit», Nov. 1960, pp. 1734-1735.

٥٦ — راجع :

Erich Fromm : L'Art d'aimer, p. 39.

٥٧ — راجع :

E. Fromm : op. cit., p. 114, note 8.

٥٨ — راجع :

Dr. André Berge : L'Education sexuelle et affective,

pp. 166-167, Ed. du Scarabée, Paris, 1964.

Denise Saada : L'Enfant et les grandes personnes, pp. 141-150, Aubier-Montaigne, Paris, 1968.

ان اكتساب الاستقلال الذاتي ، وهو ثمرة النضج ، شرط لبلوغ الحب المعطاء . يقول الدكتور اندره برج :

« لكي يكون حب الآخر اصيلا ، يجب الاعتراف بهذا الآخر على انه آخر ، ولكن هذا الاعتراف يقتضي ان يضطلع الفرد بغيريته الذاتية على صعيد الفكر والشعور » . راجع :

Dr. André Berge : L'Enfant au caractère difficile, pp. 175-176, Hachette, 1970.

راجع ايضا بصدد المعطائية كمقياس لنضج الحب :

Dr. André Berge : Le Métier de parent, pp. 165-166, Aubier-Montaigne, 1956.

٥٩ - راجع :

S. Freud : Essais de Psychanalyse appliquée, cité par A. Plé : Freud et la Morale, p. 139, note 49.

٦٠ - راجع :

Charles Baudouin : Y a-t-il une science de l'âme ?, p. 55, Ed. Fayard, Paris 1957.

٦١ - راجع :

Dr. André Arthus : Ceux que l'on nomme les grandes personnes, p. 6, Les Ed. Ouvrières, Paris, 1969.

٦٢ - راجع :

Dr. René Held : Psychothérapie et Psychanalyse, Petite Bibliothèque Payot, 1968.

٦٣ - راجع :

Erikson : Enfance et Société, p. 177, Ed. Delachaux et Niestlé, Neuchâtel, Paris, 1959.

Anna Freud : Le Normal et le Pathologique chez l'Enfant, p. 98, NRF, Gallimard, Paris, 1968.

يستشهد المحلل النفسي جورج موكو بالنص التالي لفرويد :

« ان الصراع بين الغرائز الاجتماعية والغرائز الانانية البحتة يعبر عن مجهود للتأليف يسعى الى ازالة كل ما يعارض توحيد الافراد على الصعيد الاجتماعي (. . .) ان يقبل المرء التنازلات التي لا بد منها ، ان يرتضي التضحية بما هو فردي لما هو شامل ، ان ينصاع الى التجرد من الانانية ، هذا ما يمهّد له التحليل النفسي للعقل الباطن » .

Freud, cité par Georges Mauco : L'Inconscient et la Psychologie de l'Enfant, pp. 189-190.

ويضيف الكاتب نفسه :

« الإنسان ، بالنسبة لفرويد ، يكمل تطوره الطبيعي عندما يصبح قادرا ان يجرد طاقته العاطفية عن نفسه ويوظفها في الآخر » .
op. cit., p. 192.

ويقول المحلل النفسي ميشال دانسرو :
« ان ابحاث فرويد العيادية عن الحب تدور بشكل واضح في فلك المعنى الذي يعطيه الرسول بولس لهذه الكلمة . فقد كان (فرويد) يعتبر ان مثال الصحة النفسية يوجد باتجاه الابوة والامومة ، والقدرة على العمل والحب ، على حساب النزعات الشهوانية البحتة ، وليس فقط في القدرة على ممارسة العلاقات الجنسية » .

Michel Dansereau : Freud et l'Athéisme, p. 109.

٦٤ — راجع :

Dr. C. H. Nodet : Brèves remarques sur la «Morale Psychologique», in Psychologie moderne et Réflexion chrétienne, p. 183, Fayard, Paris, 1953.

٦٥ — راجع :

Dr. André Berge : L'Education sexuelle et affective, p. 43.

يقول مارك اوريزون :

« ... ان كائنا بشريا عاجزا عن تأليف زوج couple صحيح مع آخر ، اي عن بناء وحدة مستقرة ، انما هو غير مكتمل من حيث نموه العاطفي ، او غير متزن . انه لا يزال متوقفا ، بنسبة تزيد او تنقص ، عند تلك المرحلة الطفولية او المراهقة حيث يعاش الأخر كشيء اكثر منه كشخص » . راجع :

Marc Oraison : L'Harmonie du couple humain, pp. 89-90.

٦٦ — راجع :

Dr. A. Hesnard, in «Esprit», novembre 1960, p. 1821.

٦٧ — راجع :

Dr. Gérard Mendel : La Révolte contre le Père, pp. 161 et 163, Payot, Paris, 1969.

٦٨ — راجع :

André Stéphane : L'Univers contestationnaire, pp. 239 et 282-285, Petite Bibliothèque Payot, Paris, 1969.

تقول اوديت تيبو :

« ... اذا كانوا فيما مضى يجدون الحب من حيث هو عاطفة مع احتقار (ظاهري) للرجبة ، فانهم ينزعون اليوم الى اتخاذ الموقف المعاكس ، اي الى الاعتراف بقيمة الرجبة مع ريبة في العاطفة — مما يؤدي الى ذات الانفصام بين الرغبة والعاطفة ، اللذين لا حب حقيقي دون ارتباطهما » .

Odette Thibault : Le Couple, aujourd'hui, p. 119.

٦٩ — يقول فرويد :

« نلاحظ ان الحياة الجنسية عند الانسان لا تنمو دفعة واحدة من البدء حتى فترة النضج ولكنها تخضع ، بعد تفتحها الاول الذي يمتد حتى الخامسة من العمر ، الى انقطاع قوي ، ثم تعود عند البلوغ وتعيد الصلة بمقدماتها الطفولية » .

S. Freud : Inhibition, Symptôme, Angoisse (1926), cité par Christian David : L'état amoureux, p. 71, PBP, 1971.

٧٠ — راجع مثلا :

Marlène Leist : L'Education sexuelle de votre enfant, p. 54, Bloud et Gay, Paris, 1972.

٧١ — راجع :

Anna Freud : Initiation à la Psychanalyse pour éducateurs, pp. 98-101, 103-105.

Anna Freud : Le Normal et le Pathologique chez l'Enfant, pp. 36, 45-46, 51, 53.

Jean Guillaumin : Origine et Développement du sentiment de la mort, in La Mort et l'Homme du XX^e siècle, pp. 86-87, p. 103, Ed. Spes, Paris, 1965.

Hans Zulliger : Le Jeu de l'Enfant et sa dynamique de guérison, p. 158, Ed. Bloud et Gay, Paris, 1969.

Mélanie Klein et Joan Rivière : L'Amour et la Haine, pp. 78, 117.

Bannister et als : Problèmes du mariage, pp. 42-43, P.U.F., 1959.

Karl Stern : Refus de la femme, pp. 22-23, Mame, 1969.

Rosa Tanco Duque : Narcissisme et Personnalisation, in Personnalisation. Etudes sur la Psychologie d'Igor Caruso, pp. 129-139, Desclée, 1971.

٧٢ — راجع :

S. Freud : Malaise dans la Civilisation, pp. 12-13, in Revue française de Psychanalyse, tome 34, janvier 1970, pp. 9-80.

٧٣ — يقول المحلل النفسي وينيكت :

« في هذه الحالة البدائية ... يعتبر الموضوع بالنسبة للذات وكأنه ليس موجودا الا حين يكون مرغوبا به ... وكأنه يختفي عندما لا يكون مرغوبا » .

Winnicott, cité par S. Lebovici et M. Soulé : La Connaissance de l'Enfant par la Psychanalyse, pp. 256-257, PUF, 1970.

ويقول المحلل النفسي شبيتز :
« بالنسبة للطفل المولود حديثا ، فالمحيط مكون من شخص واحد ، اذا صح التعبير ، الا وهو الام او بديلها ، وحتى هذا الشخص الوحيد لا يدركه الطفل على انه كيان متميز عنه ، بل على انه مجرد جزء من مجموعة حاجات الرضيع وارضائه » .

Spitz, cité par S. Lebovici et M. Soulé : op. cit., p. 235.
راجع ايضا :

Hans Zulliger : Bandes, Hordes et Communautés, pp. 42-43, Bloud et Gay, 1969.

Karl Stern : Refus de la femme, p. 22, Mame, 1969
٧٤ — راجع :

Otto Rank : Le Traumatisme de la Naissance, Petite Bibliothèque Payot, 1968.

Denise Saada : L'Héritage de Freud, pp. 55-56, Ed. Aubier-Montaigne, Paris, 1966.

يقول برونو كاستيه بهذا الصدد :
« ان حركة الفرد التلقائية هي بان يعود الى تلك الحالة التي لا حاجة فيها ولا توتر ، حالة ذوبان الجنين (بالام) عندما يكون في الرحم » .

Bruno Castets : La Loi, l'Enfant et la Mort, p. 230, Fleurus, 1971.

٧٥ — راجع :

Susan Isaacs : Les Premières années de l'enfant, pp. 101-104, Ed. Delachaux et Niestlé, Neuchâtel, 1955.

S. Freud : Malaise dans la Civilisation, pp. 11-13.

٧٦ — راجع :

Dr. Jean-Pierre Lauzel : L'Enfant voleur, p. 82.
٧٧ — يقول المحلل النفسي الانكليزي الشهير الدكتور وينيكوت :

« في البدء ، لا يعرف الاطفال ان الثديين جزء من الوالدة . في البدء ، اذا لامس وجههم الثدي ، لا يعرفون اذا كان شعور الارتياح يبدأ في الثدي او في الوجه . وبالفعل يلعب الرضعان بخدودهم ويخدشونها كما لو كانت اثناء ... » .

Dr. D.W. Winnicott : L'Enfant et sa famille. Les premières relations, p. 56, PBP, 1971.

ويقول ايضا :

« على صعيد نفسي ، فالطفل يرضع ثديا هو جزء من ذاته ... » .

Winnicott, cité par S. Lebovici et M. Soulé : La Connaissance de l'Enfant par la Psychanalyse, p. 241, PUF, 1970.

ويقول لوبوفيسي وسوليه بالمعنى نفسه :
« ان الرضيع ... لا يميز نفسه عن محيطه وبالتالي لا يمكنه ان
يحب بشدي الام الا وكأنه جزء من ذاته » .

S. Lebovici et M. Soulé : op. cit., p. 214.

٧٨ — راجع :

S. Freud : Abrégé de Psychanalyse, p. 60, P.U.F., Paris, 1967.

يقول برونو كاستيه :

« ... ان الآخر يبرز عند اول رضاعة يقطعها بشكل فظ صوت
جرس الباب او الحليب الفائز المتدفق على النار . الآخر يبرز من
النقص » .

Bruno Castets : La Loi, l'Enfant et la Mort, p. 77.

٧٩ — راجع :

Berthe Reymond-Rivier : Le Développement social de
l'enfant et de l'adolescent, p. 275, Ed. Charles Dessart,
Bruzelles, 1965.

٨٠ — راجع :

Selma H. Fraiberg : Les Années Magiques, p. 49.

يقول كارل ستارن :

« ... لا يصبح الانسان قادرا حقا على الحب الا اذا قطع
الرباط النفسي المكون من الالتصاق بالأم . عند ذاك فقط نصبح
قادرين على مجابهة الكون والآخرين » .

Karl Stern : Refus de la femme, p. 23, Mame, 1969.

راجع ايضا :

Hans Zulliger : Bandes, Hordes et Communautés,
pp. 40-42.

٨١ — راجع :

S.H. Fraiberg : op. cit., pp. 41-44.

٨٢ — يقول الدكتور اندره برج :

« يستطيع الرضيع ان يحب في شخص مرضعته شيئا آخر
سوى اشباعه الذاتي النهم ؟ » .

Dr. André Berge : Le Métier de parent, p. 35, Aubier-
Montaigne, 1956.

نجد ما يوازي هذا الموقف الطفولي في كل سلوك جنسي لا ينظر
فيه الى الآخر الا بمثابة شيء ، او كما يقول المحللون النفسيون
بمثابة « موضوع جزئي » : حيث ينظر الى المرأة مثلا كالى مجرد
مهبل ، والى الرجل كالى مجرد قضيب . راجع :

Bruno Castets : La Loi, l'Enfant et la Mort, pp. 138-
151.

٨٣ — بصدد الانتقال من « الموضوع الجزئي » (الشدي ،
اليدان ، العينان) الى « الموضوع الكلي » (الأم ككل) ، والى ما
يرافق ذلك من اكتشاف الأم كشخص متميز . راجع :

Hanna Ségal : Introduction à l'œuvre de Mélanie
Klein, pp. 2, 52-53, 56-57, 71, 80, 94-95, PUF, 1969.

٨٤ — راجع :

Dr. René Spitz : La Première année de la vie de l'en-
fant, P.U.F., Paris, 1958.

Anna Freud : Initiation à la Psychanalyse pour édu-
cateurs, pp. 103-105, Ed. Privat, Toulouse, 1968.

Thérèse Gouin-Décarie : Intelligence et Affectivité
chez le jeune enfant, pp. 78-112, Delachaux et Niestlé,
Neuchâtel et Paris, 1963.

يقول سرج لوبوفيسي وميشال سوليه :

« ان ملاحظات اطباء الاطفال وملاحظات احدنا (م . سوليه)
اثبتت ان عمر السبعة أشهر اكثر مطابقة لما يحصل عند الرضمان
العائشين في العائلات التي يحسن فيها المناخ العاطفي ووسائل
التنشيط » .

Serge Lebovici et Michel Soulé : op. cit., p. 232.

٨٥ — راجع :

Maurice Debesse : Les Etapes de l'Education, p. 44,
P.U.F., 1961.

٨٦ — راجع :

Roger Mucchielli : La Personnalité de l'enfant, p. 65,
p. 67, pp. 90-91, Ed. sociales françaises, 1964.

Dr. Pierre Galimard : l'Enfant de 6 à 11 ans, p. 40, Ed.
Edouard Privat, Toulouse, 1962.

٨٧ — راجع :

Paul Osterrieth : Introduction à la Psychologie de l'en-
fant, p. 87, P.U.F., Paris 1957.

Michel Richard et coll. : La Psychologie et ses do-
maines, p. 52, Chronique sociale de France, 1971.

٨٨ — راجع :

Dr. Henri Wallon : Niveaux et Fluctuations du Moi, in
«Enfance», No. 1 et 2, 1963, pp. 87-98.

Michel Richard et coll. : op. cit., p. 111.

Denis Vasse : Le Temps du désir, p. 150, Seuil, 1969.

٨٩ — راجع :

Selma H. Fraiberg : Les Années magiques, pp. 64-65.

٩٠ — راجع :

Dr. Henri Wallon : article cité.

Dr. Henri Wallon : Les Origines du caractère chez l'enfant, pp. 222-224, P.U.F., Paris, 1954.

٩١ - راجع :

Dr. André Berge : La Sexualité aujourd'hui, p. 24, Casterman, 1970.

٩٢ - راجع :

Dr. André Berge : L'Education sexuelle et affective, pp. 23, 30.

عن دور الوالدين في هذا الاكتشاف ، تقول جاكلين برجرية :
« ان الدور الرئيسي الذي يلعبه الرجل والمرأة ، الى جانب ولدهما ، هو ان يمثلنا فشيئا ، بالنسبة اليه ، مشكلة ، من جراء اختلافهما الجنسي . ان جنس الوالدين يضطر الطفل الى ان يختار نفسه شبيهها لذاك الذي يرى ان جسده يشبهه . عوض ان يبقى مجموعة صغيرة تحوي كل شيء . »

« ما سوف يكتشفه ، في الثالثة او الرابعة من عمره عند مجابهته الواقع الجنسي ، هو انه يوجد على الارض رجال ونساء وانه ليس من سبيل ليصبح المرء الاثنين معا . عند ذاك يقدم له احد الوالدين نموذجا لينمو بهوجبه ، وتتأثر صورة هذا النموذج بشكل صميمي بنوعية العلاقة القائمة بين هذا الوالد والوالد الآخر . »

Jacqueline Bergeret : Suite pour Eve. La Femme et sa psychanalyse, p. 55, Le Centurion, 1973.

٩٣ - راجع :

J.-P. Deconchy : Le Développement psychologique de l'enfant et de l'adolescent, p. 83, Les Ed. Ouvrières, Paris, 1966.

٩٤ - راجع :

Dr. André Berge : L'Enfant au caractère difficile, p. 69, Hachette, 1970.

Dr. Bernard Muldworf : Le Métier de père, pp. 112-113, Casterman, 1972.

٩٥ - راجع :

Marc Oraison : L'Echec, facteur d'élaboration du psychisme humain, pp. 98-104, in l'Homme devant l'échec, Spes, Paris, 1959.

Antoine Vergote : Psychologie religieuse, pp. 193-194, Ed. Charles Dessart, Bruxelles, 1966.

Georges Mauco : Psychanalyse et Education, pp. 107-108, Ed. Aubier-Montaigne, Paris, 1967.

Dr. Ch. H. Nodet : Sexualité et Situation, in La Sexualité, «Esprit», novembre 1960, pp. 1741-1742.

Claude Geets : Psychanalyse et Morale sexuelle,

pp. 123-132, Ed. Universitaires, Paris, 1970.

Denis Vasse : Le Temps du désir, p. 34.

يقول برونو كاستيه :

« ان الاب يمثل مناعة الأم ، جزئيا على الاقل . . . انه يمثل كل ما هو ، في رغبة الأم ، موجود بمعزل عن الطفل » .

Bruno Castets : La Loi, l'Enfant et la Mort, pp. 44-45.

٩٦ — توضح جاكين برجرية كيف ان كسب الطفل هذا مشروط بحب راشد يجمع الوالدين :

« . . . هذا الطفل الذي كانه كل منا (. . .) كان متحفظا في رغبته باجتياز خطوة النمو ، ذلك ان تلك الخطوة كانت تفترض ان يبدأ بقبول نفسه كائنا مستقلا وبالتالي منفردا ، شقيا *sexué* ، ومحدودا (. . .) كيف له ان يلج الى حدوده الذاتية ، الى محدوديته الذاتية ، وهو الذي كان يعتبر نفسه اولا محور الكون ؟ ما يلاحظ هو انه يبلغ هذا النوع من التخلي ، الحثبي والصحي ، بسهولة او غير بكثير (. . .) عندهما « يحب » والداه احدهما الآخر ، اي عندهما يكونان من جهتهما قد تخلصا تقريبا من مركزية الانا الطفولية » .

Jacqueline Bergeret : Suite pour Eve, pp. 58-59.

٩٧ — راجع :

Dr. Bernard Muldworf : Le Métier de père, pp. 131-132, Casterman, 1972.

٩٨ — راجع :

Dr. André Berge : Le Métier de parent, p. 21, Aubier-Montaigne, 1956.

٩٩ — يقول هانس زوليفر :

« ان الرضيع ، وقد استيقظ فيه الحب لوالدته ، يريد ان يمتلكها كليا لنفسه ، وبما ان اعضاء التناسلية ليست نامية بعد ، يكتبي بامتلاك فهي . انه لا يتخلى لاحد عن امه » .

Hans Zulliger : Bandes, Hordes et Communautés, pp. 86-87, Bloud et Gay, 1969.

١٠٠ — راجع :

Dr. Gérard Mendel : La Révolte contre le Père, p. 162.

Dr. René Laforgue : Psychopathologie de l'Echec, pp. 45, 47, 48-49, Petite Bibliothèque Payot, Paris, 1969.

يقول روجيه جيلبير :

« . . . الطفل يعطي غائطه او لا يعطيه : يمنحه او يرفضه ، وفقا لاختياره ، لن يشاء ، ويصبح (هكذا) قادرا على ممارسة سلطة قد تصبح مستبدة . . . » .

Roger Gilbert : Psychologie et Education de l'Enfant, p. 41, Fleurus, Paris, 1971.

١.١ — يقول الدكتور اندره برج :
« في العمر الشرجي anal ، الآخر انما هو شيء ، والمرء يعبر
من تعلقه بشيء باحتفاظه به بعناية لنفسه وبختمه بدمغة ملكيته .
ينبغي ان يتابع النمو الجنسي لكي يعتبر الآخر اخرا كشخص يحب
من حيث هو شخص وليس على منوال الأشياء » .
Dr, André Berge : L'Enfant au caractère difficile,
p. 37, Hachette, 1970.

١.٢ — راجع :

Berthe Reymond-Rivier : op. cit., pp. 59-60.

١.٣ — يقول برونو كاستيه بهذا الصدد :
« ان يكون (الطفل) محبوبا ، يعني ان يكون موضوع رغبة
الآخر ، وهذا ما يستحق منه ان يطابق احيانا رغبته الذاتية برغبة
هذا الآخر » .

Bruno Castets : La Loi, l'Enfant et la Mort, p. 77.

١.٤ — راجع :

Dorothy Burlingham et Anna Freud : Enfants sans
famille, p. 98, P.U.F., Paris, 1949.

Hans Zulliger : op. cit., pp. 43-44.

١.٥ — راجع :

Irène Lézine : Psychopédagogie du premier âge, pp
72-81, P.U.F., 1964.

١.٦ — يقول فرويد :

« ان الغائط هو بالضبط اول هدية ، انه جزء من جسد الرضيع
لا يتخلى عنه الا بأمر من الشخص المحبوب ، وبواسطته يعبر له عن
حنانه ... » .

S. Freud : Sur les transpositions de pulsions plus par-
ticulièrement dans l'érotisme anal (1917), p. 109, in La
Vie sexuelle, P.U.F., 1970.

١.٧ — راجع :

Dr. Bernard This : La Psychanalyse, pp. 137-164, Ed.
Casterman, Tournai, 1960.

١.٨ — راجع :

Dr. Wilfried Daim : Transvaluation de la Psychana-
lyse, pp. 215-221, Ed. Albin Michel, Paris, 1956.

١.٩ — راجع :

S. Freud : op. cit., pp. 109-110.

١١. — يقول بيار هنري :

« ان النزعة الجنسية لا تعود استيلائية بل تصبح معطائنة :
منذ ذلك الحين يجد الطفل لذة في العطاء » .

Pierre Hanry : L'Inconscient à découvert, p. 57

Editions Universitaires, Paris, 1972.

١١١ - راجع :

S. Freud : La Disparition du complexe d'Oedipe (1923), p. 120, in La Vie sexuelle.

١١٢ - راجع :

André Stéphane : L'Univers contestationnaire, pp. 192 et 209.

Dr. René Laforgue : Psychopathologie de l'échec. p. 53, P.B.P., 1969.

Dr. Gérard Mendel : La Révolte contre le Père, p. 117.

Otto Fénichel : La Théorie psychanalytique des névroses, tome I, pp. 103-104, P.U.F., Paris, 1953.

١١٣ - راجع :

Dr. Paul le Moal : L'Evolution Sexuelle, pp. 38-39, in «l'Ecole des parents», mai 1968.

G. Tordjman : Clefs pour la Sexologie, p. 189, Seghers, 1972.

Ecole des Parents : Cette éducation sexuelle qui vous fait peur, p. 147, Stock, Paris, 1974.

١١٤ - راجع .

Hélène Deutsch : Problèmes de l'adolescence, p. 16, Petite Bibliothèque Payot, Paris, 1970.

١١٥ - راجع :

Dr. André Arthus : Adolescence, pp. 45-73.

١١٦ - راجع :

Oswald Kolle : Ton mari, cet inconnu, pp. 23-37, Casterman, 1969.

١١٧ - يقول الدكتور اندره برج :

« ان المراهق ، بعد البلوغ ، يكرر بالاجمال تطور بني الحياة الاولى ، انما بنبرة مختلفة جدا ... » .

Dr. André Berge : Le Métier de parent, pp. 168-169.

راجع ايضا :

Dr. André Berge : La Sexualité aujourd'hui, p. 163.

Oswald Schwarz : Psychologie sexuelle, pp. 27-42, pp. 60-103.

Anne-Marie Rocheblave-Spenlé : L'Adolescent et son monde, pp. 111-115, Editions Universitaires, 1969.

Monique Gueneau : L'Enfant et son désir d'aimer, pp. 58-68, Le Centurion, 1971.

Pierre Hanry : L'Inconscient à découvert, p. 58.

١١٨ - راجع :

Pierre Hanry : op. cit., pp. 59-66.

١١٩ — يقول بونيه :

« قضية الجنس كقضية لعبة تصوير . فإذا اهديت لعبة تصوير لفتى ، لن يكون قادرا ان يبدع فورا روائع ، بل انه سيبدأ بالخربشة » .

Bovet, cité par Ernest Ell : De l'Enfant à l'Adulte, p. 121.

ويقول برونو كاستيه ان الولد ، عند البلوغ ، « يضطلع برغبات جديدة على بنية ذهنية قديمة ، لا تزال طفولية بالحقيقة » . ويضيف : « ربما يمكن ان نقول ان التحقيقات الجنسية اذا حدثت في تلك الفترة قد تكون من اسباب اختلال التوازن من حيث انها تدفع الولد الى الاضطلاع بدور يعجز عن القيام به لانه يفرط باقحام الخيالات الطفولية فيه » .

Bruno Castets : La Loi, l'Enfant et la Mort, pp. 168-169.

ويقول بيار هنري :

« على الصعيد البيولوجي البحث ، يعني البلوغ الانتقال من الطفولة الى الرشد ، أي ان الطفل ، اذا بلغ ، لم يعد طفلا بفضل ضرورته قادرا على الانجاب . حاصل الكلام ان هذا الانتقال سريع اذ انه لا يدوم ، في جميع الاحوال ، سوى بضعة اشهر . وبالعكس ، على الصعيد العاطفي ، فان الانتقال من حالة الطفل الى حالة الراشد تتطلب دوما سنين طويلة . (لا بل انه احيانا لا يكتمل ابدا) . ان هذا التفاوت لهو بحد ذاته مصدر صعوبات : فالمرأهق الذي له جسد راشد ، وبالتالي حاجات راشد ، يحتفظ لمدة طويلة بشعور « طفل » ، وهكذا يترتب عليه ان يضطلع بمسؤوليات راشد (خاصة على الصعيد الجنسي) بشعور طفولي — او على كل حال غير ناضج » .

Pierre Hanry : L'Inconscient à découvert, p. 58.

راجع ايضا :

S. Freud : La Morale sexuelle civilisée et la maladie nerveuse des temps modernes, p. 42, in La Vie sexuelle.

Dr. Jean-Pierre Lauzel : L'Enfant voleur, p. 129.

١٢٠ — راجع :

Jean-Pierre Deconchy : Le Développement Psychologique de l'enfant et de l'adolescent, p. 220, Ed. Ouvrières, Paris, 1966.

R. Gleason et G. Hagmaier : Direction, Education et Psychopathologie, p. 104, Aubier-Montaigne, Paris, 1962.

Marc Oraison : L'Harmonie du Couple humain, pp. 74-75.

١٢١ - راجع :

Marc Oraison : Pour une éducation morale dynamique, p. 98.

تجدر الإشارة الى الفارق الهام الذي يميز المراهق ، في هذا الميدان ، عن الطفل في الثالثة من عمره . فالمرهق ذو النمو السليم ، وان مارس الاستمناء ، متجه برغبته نحو الجنس الآخر ، يتصل به بالتخيلات التي ترافق عملية الاستمناء ان لم يكن بالواقع ، علما بأن انطواءه على جسده مرده جزئيا ، والى حد كبير ، في الحصالات السوية ، الى العوائق الاجتماعية والتربوية التي تحول بينه وبين الجنس الآخر . لذا فعلى الصعيد النفسي يمكن اعتبار استمناء المراهق ، اذا سار النمو سيره الطبيعي ، لا مجرد تكرار لاستمناء الطفولة ، بل مرحلة انتقالية نحو النضج الجنسي والعاطفي . راجع بهذا الصدد :

André Alsteens : La Masturbation chez l'Adolescent. Les Données psychologiques du problème et ses implications pédagogiques et psychothérapiques, Desclée de Brouwer, Bruges-Paris, 1967.

١٢٢ - انما يبدو انها الآن في تزايد ، كما تشير بعض الاحصاءات . فأرנסت ال يذكر مثلا نسبة ٦٠ ٪ . راجع :

Ernest Ell : De l'Enfant à l'Adulte, p. 119.

وقد يكون ارتفاع النسبة هذا عائد ، على الاقل جزئيا ، الى ملاحظة اكثر موضوعية للحياة الجنسية النسائية ، كما ينوه بيار هنري . راجع :

Pierre Hanry : L'Inconscient à découvert, p. 60.

١٢٣ - راجع :

Jean-Pierre Deconchy : op. cit., p. 221.

Marc Oraison : L'Harmonie du couple humain, pp. 22, 76, note 1.

١٢٤ - راجع :

Dr. Paul Le Moal : op. cit., pp. 40-41.

Dr. G.-Ph. Guasch : L'Adolescent, son corps et les «autres», 3, L'Adolescente et son Corps, p. 31, «L'Ecole des Parents», novembre 1971.

١٢٥ - راجع :

J.A. Hadfield : L'Enfance et l'Adolescence, pp. 168-173, Petite Bibliothèque Payot, Paris, 1966.

١٢٦ - يقول أرנסت ال :

« حتى الفتيان الذين لا يمارس عليهم اي ضغط تربوي او ديني يشعرون ان الاستمناء ليس مرضيا بالكلية ، لأن الجنس ، بطبيعته ، متجه نحو « انت » ، مما لا يحققه الاستمناء : لذا يزداد بعده

الشعور بالعزلة » .

Ernest Ell : De l'Enfant à l'Adulte, p. 119.

على كل ، نذكر بان استمناء المراهق ، من حيث العلاقة الخيالية التي يتضمنها بمواضيع من الجنس الآخر . يمثل تقدما بالنسبة لشهوة الطفل الذاتية . راجع أيضا بهذا الصدد :

Dr. Gilbert Tordjman : Clefs pour la Sexologie, p. 194.

١٢٧ — راجع :

Hélène Deutsch : op. cit., pp. 25-31.

Dr. André Berge : Les Défauts de l'Enfant, p. 118, P.B.P., 1968.

١٢٨ — حول اسطورة نرجس ، راجع :

Pierre Hanry : op. cit., p. 59, note 19.

١٢٩ — يقول بيار هنري :

« ان مرحلة الشهوة الذاتية ... تنتهي عموما حوالي الخامسة عشرة ، ولكنها كثيرا ما تمتد الى ابعد من ذلك بكثير ... تبدأ فترة الشهوة الغيرية عموما نحو الخامسة عشرة ... » .

P. Hanry : op. cit., pp. 59, 62.

١٣٠ — براري فرويد ان اختيار موضوع نرجسي : اي موضوع يقدم للفرد صورة عن ذاته ، انما هو « على وجه العموم اسهل منالا واقرب الى التحقيق من التحول الى الجنس الآخر » .

S. Freud : Sur quelques mécanismes névrotiques dans la jalousie, la paranoïa et l'homosexualité (1922), p. 279, in Névrose, Psychose et Perversion, PUF, 1973.

ويقول في موضع آخر :

« ... حتى عند الانسان الطبيعي ، ينبغي ان تنقضي فترة ما قبل ان يفرض قرار نهائي ذاته بشأن جنس موضوع الحب . فالغورات الجنسية المثلية والصدقات ذات القوة المفرطة والمملونة بالشهوة انما هي شيء عادي تماما عند كل من الجنسين في السنوات الاولى التي تلي البلوغ » .

S. Freud : Sur la psychogenèse d'un cas d'homosexualité féminine (1920), p. 267, in Névrose, Psychose et Perversion.

وتقول مونيك غينو :

« ان المراهق النرجسي ، اذ ينطلق في تحركه ، يخرج عفويا من نرجسيته ليسير بموجب الاندفاع الذي يحركه الى التفتيش عن موضوع . ان الموضوع المكمل يخيفه ، من هنا ظهور اوالية اخرى ، الا وهي التفتيش عن الشبيه » .

Monique Gueneau : L'Enfant et son désir d'aimer, p. 61.

١٣١ - راجع :

Oswald Schwarz : Psychologie sexuelle, p. 38, P.U.F. 1952.

١٣٢ - راجع :

Nikos Kazantzakis : Lettre au Gréco, cité par Hélène Deutsch, op. cit., p. 28.

١٣٣ - راجع :

Dr. Paul Le Moal : op. cit., pp. 41-45.

J.A. Hadfield : op. cit., pp. 185-188.

Drs. Claude Kohler et Paule Aimard : De l'Enfance à l'Adolescence, pp. 104-107, Ed. Casterman, Tournai, 1970.

يقول الدكتور غواش :

« ان هذه النزعة « الجنسية المثلية » تبقى في اغلب الاحوال كامنة ، ولا يعبر عنها الا بصداقة عميقة وانجذاب عاطفي بارز نحو رفيق او راشد من الجنس نفسه . اما التنفيذ الفعلي والخبرة الجنسية المكتملة ، فقليلا ما يحصلان ... » .

G.-Ph. Guasch : Trois questions d'adolescence, p. 31, in Le Groupe familial, No. 54, janvier 1972.

راجع ايضا :

C.S. Ford et F.A. Beach : Le Comportement sexuel chez l'Homme et l'Animal, pp. 167-168, Robert Laffont, Marie-Thérèse Van Eeckhout : Nos enfants devant la sexualité, pp. 119-123, Casterman, 1966.

١٣٤ - راجع :

Ernest Ell : De l'Enfant à l'Adulte, pp. 198-200.

١٣٥ - يقول الدكتور جيلبير تورديمان ان الاختبارات الجنسية المثلية ، اذا تكررت واتخذت طابعا شهوانيا ، تؤدي في النهاية الى اقتران conditionnement بين الجنس وهذا المنبه stimulus المثلي ، وذلك لكون المراهقة فترة قابلة للتطبع بطابع جنسي معين بتأثير نمط من الاختبار . راجع :

Gilbert Tordjman : Clefs pour la Sexologie, pp. 195-196.

وتقول مونيك غونو :

« ان الحياة في جماعة احادية الجنس ، دون انفتاح على العالم ، انما هي اكبر ضمانة لتحقيق الجنس المثلي . وقد يكون هذا التحقيق عابرا ، ولكن التنفيذ الفعلي يترك آثارا قد تكون نهائية احيانا ، ان لم يكن الا على صعيد الشك بالنفس » .

Monique Gueneau : L'Enfant et son désir d'aimer, p. 61, Le Centurion, 1971.

ويقول ادوار بروز في كتاب له عن التربية المختلطة في المدارس :
« ... ان كان هناك من اوضاع ماحنة ومن حالات جنس مثلي
اليمة ، فانها توجد في معاهد البنات ومدارس الفتيان اكثر منها في
المدارس المختلطة » .

Edouard Breuse : La Coéducation dans les écoles mixtes, P.U.F., 1970, pp. 89, 101.

١٣٦ — تقول ماري تيريز فان ايكوت :
« لكي تبلغ الحياة العاطفية عند المراهق ملء نموها ، يجب ان
تتغلب على الاهتمام النرجسي بجنسه الذاتي وان تتجه بشكل حاسم
نحو العالم النسائي » .

Marie-Thérèse Van Eeckhout : op. cit., p. 121.

١٣٧ — يقول ارنست ال :
« يجب ان يتعلم الشباب ان يتحرروا من التأثير الاول الذي
يحدثه الجنس الآخر فيهم ، فيذهبوا الى ابعد من مجرد الانجذاب
الجنسي ليتحققوا من قيمة الشخص او عدم قيمته . ولذا يجب ان
يتعلموا ادراك الفوارق الشخصية . ولكن لا يمكن لاية نظرية ان
تقوم ، في هذا المجال ، مقام الممارسة التي تتطلب معايشة الجنس
الآخر » .

Ernest Ell : De l'Enfant à l'Adulte, pp. 179-180.

وتقول مونيكا غونو :
« اذا كان المراهق قد مارس منذ الطفولة حياة اجتماعية
منفتحة ، فهذا ما يسمح له عادة بان يعرف الفتيات وبأن يقيم معهن
علاقات عاطفية سليمة ، دون كبت مفرط ، ومميزة حسب
الاشخاص » . راجع :

Monique Gueneau : op. cit., p. 63, p. 62.

١٣٨ — راجع :
Jean-Claude Barreau : La Foi d'un Païen, pp. 33-34,
Ed. du Seuil, Paris, 1967.

١٣٩ — راجع :
Dr. André Berge : La Sexualité aujourd'hui, pp. 75-
76, pp. 78-81.

١٤٠ — يقول ارنست ال :
« ان هذا الاكتشاف لاعماقه الشخصية يخلق في نفسية الشاب
الاعضاء التي ستسمح له بان يفهم ايضا الكيان الداخلي لآخرين —
ويادىء ذي بدء كيان الذين يماثلونه بالسن والجنس . ان الشباب
يشعر بعمق بتلك الحاجة الى التفهم . ان معاناته الشخصية علمته
ان وراء وجه الآخر تختفي شخصية يمكن استكشافها ، لا يحب اطلاع
عالم النفس ، بل بدافع حاجة عميقة الى الفهم المتبادل » .

Ernest Ell : op. cit., p. 171.

١٤١ — راجع :

Jean-Pierre Deconchy : op. cit., pp. 225-232.

J.A. Hadfield : op. cit., pp. 191-205.

Marc Oraison : Le Mystère humain de la sexualité, pp. 92-94.

١٤٢ — تقول المحللة النفسية هيلين دوتش في كتابها الشهير عن « نفسية النساء » : ان عند الفتاة المراهقة ما يشبه تلك الظاهرة ، اذ انها تقوم « بصيد لقلوب الذكور » يبقى فيه الطابع الجنسي للمشاعر اقل وعيا مما هو عند الفتى . تقول الكاتبة المذكورة :

« ان الرغبة بان تكون محبوبة من كثير من الرجال وبأن تجمع القلوب المحطمة » صفة مميزة للفتاة المراهقة . راجع :

Hélène Deutsch : La Psychologie des femmes, tome 1, Enfance et Adolescence, p. 89, PUF, 1959.

١٤٣ — يقول الدكتور توردجمان عن هذه المرحلة :

« ... ما يثير شهوة المراهق ليس شخصية تدرك بكليتها بقدر ما هو ثيمة fétiche تحصر الاتصال بعلاقة بموضوع جزئي . فالذكر يفتش في المرأة عن شعر اشقر ، عن ساقين حسني التفاسق، عن ردف او صدر ممثلئين ... » .

Gilbert Tordjman : Clefs pour la Sexologie, p. 197.

راجع ايضا :

Henry Tavoillot : Une expérience d'éducation sexuelle, pp. 157-158.

١٤٤ — ويبين هنري تافوالتو ، وهو اختصاصي بالتربية الجنسية عند المراهقين ، أهمية « الحاجات العاطفية ذات الاتجاه الفردي (ان يكون الفرد محبوبا ، ان يثير الإعجاب ، ان يؤخذ على محمل الجد) » في حياة المراهقين العاطفية . راجع :

Henry Tavoillot : op. cit., pp. 31-32.

١٤٥ — راجع :

Hélène Deutsch : op. cit., pp. 112-113.

يرى مارك اوريزون ان الاختبارات الجنسية الفعلية التي يمارسها فتى في السابعة او الثامنة عشرة من عمره مع شريكاته له تمثل تجميدا لتطوره النفسي الجنسي في موقف ذي نمط استمنائي ، اكثر بكثير مما تشكل تقدما . راجع :

Marc Oraison : L'Harmonie du couple humain, p. 25.

١٤٦ — راجع :

Hélène Deutsch : op. cit., p. 23.

١٤٧ — راجع :

Michel Quoist : Aimer ou le journal de Dany, Les Ed. Ouvrières, Paris.

١٤٨ — في مجموعة رسائل تبودلت بين شاب أفريقي وقس مسيحي اتخذ هذا الشاب مرشدا له ، نرى الشاب المذكور يكتشف الحب الناضج بعد لقائه باحدى الفتيات ، واذا بنظرته الى الجنس الآخر تنقلب ، فيكتب الى راعيه واصفا خبرته الجديدة :
« نعم اننا الآن ... نكتشف بعضنا بعضا . وكل يوم يأتينا باكتشافات جديدة . والحقيقة هي ان الفتاة اقلية مجهول . والآن أستطيع ان ارى لأول مرة كيف كنت اعمى حين نظرت الى الفتاة نظرتي الى فرشاة اسنان اى كأداة للاستعمال . وفوق ذلك كنت انوي ان « استعمل » واحدة لكي اعرف ماهية المرأة — يا للغباوة ! »
فالتر تروبيش : احببت فتاة ، ص ٩٣ ، دار منشورات النفير ، بيروت ، ١٩٧٢ .

ان النزعة الى اختبار حب ناضج على هذا النمط ، حب يعتبر فيه الآخر كائنا فريدا ومهما بحد ذاته ، ظاهرة نجدها عند كثيرين من الشباب ، حسب شهادة العديد من المشتغلين بعلم النفس وعلم الاجتماع . واليكم شواهد عنها مستمدة من احد المجتمعات المدعوة « بدائية » من جهة ، ومن المجتمع الصناعي الغربي الحديث من جهة اخرى .

ففي مجتمع جزر تروبريان الذي يمارس فيه المراهقون الجنس بحرية كبيرة ، لاحظ مالمينوفسكي عندهم ، مع ذلك ، تطورا نحو علاقة تزداد فرادتها وديمومتها تدريجيا فتشهد للزواج . يقول العالم المذكور :

« مع الزمن ، وكلما تقدم الفتيان والفتيات بالمر ، تدوم علاقاتهم مدة اطول وتصبح الروابط التي تشدهم بعضهم الى بعض امتن واثبت . وعلى العموم ، يشاهد المرء عند ذاك نشأة ونمو تفضيل شخصي تتقهقر امامه شيئا فشيئا كل القضايا الغرامية الاخرى » .

B. Malinowski : La Vie sexuelle des sauvages du nord-ouest de la Mélanésie, p. 63, pp. 59-64, PBP, 1970.

اما المجتمعات الصناعية الغربية المعاصرة ، فقد يظن المرء لأول وهلة ، وبالاستناد الى بعض الظواهر التي تركز عليها وسائل الاعلام ، ان الشببية فيها منجرفة بتيار من التهلك ولا تقيم وزنا الا لاشباع الشهوة . ولكن نظرة مطلعة وموضوعية الى الامور تضطر الى اعادة النظر في مثل هذا التصور . صحيح ان عددا متزايدا من الشباب هناك يرمض التقيد بقواعد خلقية تفرضها مجرد تقاليد موروثة ، ولكن عددا كبيرا من رافضي تلك التقاليد قد اكتشفوا قاعدة خلقية جديدة ، الا وهي وجوب ممارسة العلاقة الجنسية في

اطار علاقة شخصية صميمية .

فمثلا اجرت المؤسسة الاحصائية SOFRES تحقيقا حول « الشباب والحب » تناول فئة الشباب والفتيات الفرنسيين الذين تتراوح اعمارهم بين الخامسة عشرة والعشرين ، وقد نشرت نتائج هذا التحقيق في مجلة « الاكسبرس » (عدد ٦ الى ١٢ آذار ١٩٧٢) . ٤٠٪ من الشباب الذين استجوبوا اجابوا انه سبق لهم ان قاموا بعلاقات جنسية ، ٤٩٪ قالوا انهم لم يمارسوا تلك العلاقات و ١١٪ امتنعوا عن الاجابة . ولكن الجدير بالذكر ان ٢٢٪ فقط من هؤلاء الشباب قالوا بان شباب هذا العمر يحق لهم ان يمارسوا علاقات جنسية دون حب . راجع :

Aimé Savard : Couple et Mariage dans le monde moderne, pp. 12-13, in «Informations Catholiques Internationales», No. 411, 1 juillet 1972.

وقد اجري حديثا تحقيق ضخيم بادارة الدكتور سيمون عن السلوك الجنسي عند الفرنسيين ، فطرح ثلاثمائة سؤال على ٢٦٢٥ شخصا يمثلون الشعب الفرنسي بكافة فئاته . وما اظهره هذا التقرير ان كثيرا من الشباب الفرنسي يمارسون علاقات جنسية سابقة للزواج ، ولكن اكثرهم يمارسها في اطار علاقة شخصية تجمع الشريكين . فبالنسبة للفئة التي تتراوح اعمارها بين ٢٠ و ١٩ سنة ، اتضح ان اكثر الشباب لم يقدموا على اول علاقة جنسية الا بعد فترة من التعارف ، وان نصفهم كانوا يعرفون شريكهم في تلك العلاقة منذ اكثر من سنة ، والعلاقة الاولى تمت ، في ٤١٪ من الحالات ، مع الزوج المستقبل . راجع :

Odette Thibault : Le rapport Simon sur le comportement sexuel des Français, p. 20, in Hebdo-T.C., No. 1479, 9 novembre 1972.

وقد كتب اييه سافار معلقا على هذه النتائج ونتائج اخرى كثيرة مماثلة اعطتها التحقيقات في بلاد اخرى :
« كل شيء يجري . . . وكان الشباب يطالبون بالحرية الجنسية لا ليمارسوها كيفما كان بل لاختصاصها للحب » .

Aimé Savard : op. cit.

يقول مارك اوريزون بهذا الصدد :

« عندما تسنح للمرء فرصة المناقشة والتفكير مع مجموعات مستمعين من الفتيان والفتيات المتراوحة اعمارهم بين ١٨ و ٢٥ سنة ، يلفت نظره فورا هاجسهم الرئيسي بأن يدركوا قيم الحب الحقيقية ويطلقوها . ما عدا بعض الشواذ ، طبعا ، يشعر المرء برغبة عميقة عند الشباب بأن يدركوا ، ابعد من التحريمات والانظمة ، المعنى الحقيقي للحياة الجنسية بالضبط في منظار بنيان

ايجابي للحب » .
ويستشهد الكاتب بهذه العبارة التي وردت في المشهد الهيبى
الشهير « مير » : « لا للجنس دون حب » .

راجع :

Marc Oraison : Pour une éducation morale dynamique, pp. 96-97, Mame-Fayard, 1971.

وتقول اوديت تيبو :

« ينبغي ملاحظة النسبة المثوية الضعيفة للعلاقات الجنسية المتعددة أو الجماعية ، مما يعطي هذه الممارسات قيمة احتجاج ضد اخلاق سلبية أكثر مما تكون علامة قناعة عميقة (...) اعتقد ان اغلبية الشباب يعتبرون الحب امرا رصينا - ولا يودون سوى ان يضيفوا عليه طابع الديمومة والاختيار والحصريّة ولربما كانوا فعلوا ذلك بأكثر سهولة لو كنا لهم قدوة في هذا المصمار » .

Odette Thibault : Le Couple, aujourd'hui, pp. 141-142.

وتعبر جاكلين برجريه عن وجهة النظر عينها ، فتقول :
« ... في هذا العصر الذي يتعالى فيه ضجيج الذين يفضلون المجون على الحب (...) في هذا العصر بالذات يترعرع ، أكثر مما في أي زمن آخر ، شباب يهتدون من جديد الى دروب الحب ... » .

Jacqueline Bergeret : Suite pour Eve, p. 150.

ويقول جورج موكو بالمعنى نفسه :

« ان كانت الاجيال الشابة تعيد النظر في كثير من القيم القديمة ، الا انها ، بالعكس ، تعطي قيمة للحب . انها تؤكد الحق بالحب حتى ، اذا اقتضى الامر ، ضد القيم الاكثر مادية منه . لذا ، فبالنسبة للأجيال الصاعدة ، يبقى الزوج couple المثال المرغوب ، رمز هذا الحب السعيد ... » .

Georges Mauco : Les Célibataires et le Célibat, pp. 200-201.

١٤٩ — راجع :

J.A. Hadfield : op. cit., p. 202.

١٥٠ — راجع :

J.A. Hadfield : op. cit., p. 204.

١٥١ — هذا ما سمي « بالصراع بين البغي والعذراء » .

راجع :

Odette Thibault : Le Couple, aujourd'hui, p. 34.

ان الجذور العميقة لهذا الفصم تعود ، كما بين التحليل النفسي ، الى كون العقدة الاوديبيّة تستيقظ عند المراهق مع يقظة الجنس عنده ، مما يؤدي الى فك الشهوة عن الحب ، لان المرأة

المحبوبة (وهي بالنسبة للعقل الباطن صورة عن الأم) لا يمكن ان تشتهى ، بموجب التحريم الاوديبي ، بينما المرأة المشتهاة لا يمكن ان تحب (والا اصبحت صورة عن الأم المحرمة) . راجع مثلا :

G. Tordjman : Clefs pour la Sexologie, p. 198.

راجع ايضا :

Anne-Marie Rocheblave-Spenlé : L'Adolescent et son monde, pp. 108-110, Ed. Universitaires, 1969.

Marc Oraison : L'Harmonie du couple humain, p. 24.

١٥٢ — راجع :

Pierre Saurat : Pourquoi tant de colère ? p. 320, Ed. Robert Laffont, Paris, 1966.

١٥٣ — راجع :

Pierre Saurat : op. cit., pp. 154-155.

١٥٤ — راجع :

Pierre Saurat : op. cit., p. 369.

١٥٥ — راجع :

S. Freud : Trois Essais sur la théorie de la sexualité, p. 111.

S. Freud : Contribution à la psychologie de la vie amoureuse, Revue Française de Psychanalyse, 1936, No. 1, p. 11, cité par A. Plé : Freud et la Morale, p. 125.

يقول الدكتور تورديمان :

« ان النضج النفسي الجنسي يحدد ، فيما يحدد ، بالقدرة على جمع العاطفة والرغبة على موضوع واحد . حتى ان درجة قدرة الانسان الجنسية تقاس ، حسب رأي فرويد ، بهذا المقياس . الا ان الكثيرين لا يبلغونه ابدا » .

Gilbert Tordjman : op. cit., p. 264.

تلك هي حالة الدون جوان :

« ان التاكيد بأن دون جوان عاجز جنسيا ليس مفارقة الا بالظاهر . انه عاجز عن الحب ، وهو يعرف ذلك . اما ما يحاول ان يخفيه في هربه الى الامام ، من مغامرة الى مغامرة ، انها هو العجز الجنسي الذي لا بد وان يعتره مع شريكة ما لو بدا يشعر تجاهها بعاطفة اكثر اكتمالا من مجرد اندفاع الرغبة » .

G. Tordjman : op. cit., p. 268.

راجع ايضا :

Dr. Bernard Muldworf : L'Adultère, p. 61.

Hans Zulliger : Bandes, Hordes et Communautés, pp. 88-89.

Ernest Ell : De l'Enfant à l'Adulte, p. 249.

١٥٦ — راجع :

St. Augustin : Confessions, p. 61, «Le Livre de poche chrétien», 1962.

١٥٧ — في رواية « الثعلب » لدافيد — هيربرت لورانس ،
يصور لنا الكتاب التحول الذي طرأ على الشاب هنري عندما تجلت
له فجأة ، ولأول مرة ، انوثة الفتاة مارش التي احبها :
« ... يا للغرابة ، فجأة احس نفسه رجلا ، وانه لم يعد
مراهقا . احس نفسه رجلا ، مع كل وزن مسؤولية رجل .
فاجتاحت نفسه طمانينة غريبة ورصانة عجيبة . احس نفسه رجلا ،
هادئا (...)

» لقد كان فستانها يجعلها رقيقة وفاتنة . فأتاه ما يشبه فكرة
مسؤولية ابدية » .

David-Herbert Lawrence : Le Renard, p. 96, «La Petite Ourse», Lausanne, 1956.

١٥٨ — ان تلك الحقبة تفترض مساهمة الانسان بكليته في
الحب . يقول ارنست ال بهذا الصدد :
« عندما تقول الارادة نعم لاختيار الجسد والشعور والعقل ،
عند ذلك فقط يكون الحب قد وجد اسسا له في مجموعة الانسان ،
عند ذاك يكون حبا ناضجا » . راجع :

Ernest Ell : De l'Enfant à l'Adulte, pp. 188-190.

ويقول الدكتور اندره برج :
« ... ان التناغم والتوافق بين الفزعات الجسدية والعاطفية
والعقلية والروحية هو علاقة حب كامل . كلما ازدادت الميول
المجموعة على المحبوب ، كلما ازداد الحظ بالسعادة » .

Dr. André Berge : Le Métier de parent, p. 45.

ويقول الدكتور تورديمان بالمعنى نفسه :
« يمكن اذا تحديد النضج على انه القدرة على جمع الحواس
والفكر والقلب على شريك واحد من الجنس الآخر » .

G. Tordjman : Clefs pour la Sexologie, p. 198.

ان مهمة المراهقة ، براي هيلين دوتش ، هي تحقيق هذه الحقبة
التي يتخطى فيها المرء ذاته ويوحدها بان واحد :
« ان مهمة المراهقة هي قبل كل شيء الانتقال من حقبة من
الفرجسية الحادة الى حقبة من العلاقات الموضوعية ، وفي تحقيق
التوافق ، ضمن هذه العلاقات ، بين مشاعر المحبة والفزعات
الفرجسية » .

Hélène Deutsch : La Psychologie des Femmes, tome 1,
p. 105.

١٥٩ — في نهاية كتابه القيم عن « الخيانة الزوجية » ، يتصدى

المحلل النفسي الماركسي الدكتور برنارد مولدورف للذين يستلهمون افكار رايش أو ماركوز لينادوا بأن « الحرية الجنسية » لا يمكن تحقيقها الا في سعي دائم الى لقاءات جديدة . يأخذ عليهم تجاهلهم للمتطلبات النفسية العميقة التي لا يمكن للانسان الا ان يفشل في سعيه الى السعادة ان لم يأخذها بعين الاعتبار . يقول :

« من باب الديماغوجية (وقد يكون من باب الخداع) ان يقال : كل شيء ممكن طالما الرغبة تريده . انها لنفس التهريج المخيف كأن يقال لرجل يرمي نفسه من اعلى برج ايفل : « حرك يديك ، وستطير كالعصفور » .

Bernard Muldworf : L'Adultère, p. 193.

وايضا :

« الحرية الجنسية الحقبة انها هي في معرفة الضرورات النفسية والعاطفية في كل لقاء حبي .

ان الوحدة المستقرة ، الطويلة الامد ، هي (حتى اشعار آخر) اقرب ما يمكن الى هذه الضرورات النفسية والعاطفية ، وهي التي تعطي افضل الامكانيات للانشراح الشخصي . ففي هذه الوحدة يجد الفرد اعلى درجة من التفهم والتضامن ، فيها يجد هذه الطمانينة العميقة والاساسية التي لا يمكن للمجتمع ان يقدمها له على اكمل وجه . في تلك الوحدة المستقرة يحقق الحب كل امكانياته . اما المزاوجات العابرة فأنها لا تعطي شيئا . قد تروي عطشا عابرا ، ولكنها لا تحمل تلك التبادلات الانسانية الضرورية لحياتنا ضرورة الهواء الذي نستنشقه » .

B. Muldworf : op. cit., p. 192.

١٦٠ — يقول رينه سيمون :

« ان الوحدة ، والامانة ، والخصب ، والمؤسسية ، يجب ان تفهم ، على انها ابعاد تسمح للحب بان يتكون على حقيقته ، اكثر مما هي مبادئ او قيم قابلة للترجمة الى قواعد ونواميس » .

René Simon : La Famille se meurt... (Hebdo-T.C., No. 1463, 20 juillet 1972, p. 16).

١٦١ — ان هذا التوافق بين الزواج ومتطلبات الحب الاساسية ، هو ما يفسر ، برأبي ، ذلك التحبذ الذي لا يزال يلقاه الزواج بين شباب المجتمعات المصنعة ، رغم الموقف الرفضي المنتشر بينهم حيال التقاليد .

واليك بعض الشواهد على هذه الظاهرة :

يفكر روجيه موكيللي في كتابه « سيكولوجية الحياة الزوجية » ، انه « سنة ١٩٠٠ ، كان خمسة من الف من الرجال فقط يتزوجون قبل العشرين ، و ٣٥ بالالف من النساء . اما في ١٩٧٠ ، فقد اصبح هذان الرقمان ٣٥ بالالف من الرجال و ١٩١ بالالف من النساء ... » .

Roger Mucchielli : Psychologie de la vie conjugale, note de la page 84, Les Editions ESF, Paris, 1973.

ويقول الدكتور مارك لاندري :

« في تقرير سيمون ، مثلا ، ٩٠٪ من الافراد المستجوبين ، حتى في فئة الذين تتراوح اعمارهم بين ٢٠ و ٢٩ سنة ، يبدون مؤيدين للعلاقة الشرعية ٥٠٪ فقط يحبذون العلاقة الحرة التي لا تقوم على عقد حقوقي » .

Dr. Marc Landry : La Famille en devenir, p. 24, in «Le Groupe familial», No. 61, octobre 1973.

وقد كتبت اوديت تيبو :

« الواقع ان الزواج مرغوب من اغلبية الشباب (٩٠٪ ، حسب تحقيق جرى سنة ١٩٦٦) ، وان الرغبة في الديمومة والامانة منتشرة جدا (بنسبة ٨٦٪ حسب تحقيق جرى سنة ١٩٦٩) . احادية الزواج تبقى القاعدة المثالية ... » .

Odette Thibault : L'Orientation nuptiale. La science au service du couple (Hebdo-T.C., No. 1503, 26 avril 1973, p. 11).

وكتب روجيه موكيللي في المرجع المذكور اعلاه :

« ملفت للنظر ان الامانة ، التي أعلنها الاباحيون قيدا لا معنى له ، كان يعتبرها ، سنة ١٩٥٧ ، ٨٢٪ من الشباب اساسية في الحب بالنسبة الى كلا الشريكين . اما سنة ١٩٦٩ فقد اصبح هذا الرقم ٨٦٪ (حسب استقصاء أجرته جريدة الاكسبرس) » .

Roger Mucchielli : Psychologie de la vie conjugale, note de la page 84.

ويقول جورج موكو :

« حاليا ، يتزوج الاوروبيون في سن مبكرة اكثر فاكثرا ، ايا كان البلد الذي نشأوا فيه ، وعدد الذين يبقون عازبين منهم في تناقص مستمر . ان هذه النزعة تلفت النظر لانها تتواجد مع كون الشباب يتخذون بسهولة موقف الرفض ويعيدون النظر في القيم القديمة . الزواج والعائلة يبقيان اذا بالفعل ، ورغم الانتقادات الموجهة اليهما ، قima تبقى الشببية متمسكة بها تمسكا قويا » .

Georges Mauco : Les Célibataires et le Célibat, p. 62, p. 65, p. 200.

ويقدم الكاتب نفسه مثلا يعبر عن هذا التواجد عند الشببية بين الموقف الرفض والتمسك بالزواج . يقول مستشهدا بنتائج تحقيق جرى بين طلاب معهد فرنسي شهير :

« حتى طلاب الـ E.N.A. تلك المدرسة الوطنية للإدارة التي تقدم للدولة كوادرها ... يبدون رافضين للدولة والمجتمع وقيمه التقليدية ، وليس للزواج » .

Georges Mauco : op. cit., p. 185.
وقد كتب لويس روسيل ، وهو أحد بحاثي المؤسسة الوطنية
الفرنسية للدراسات الديموغرافية ، معلقا على نتائج تحقيق أجري
في المانيا الغربية واطهر ان اغلبية الشباب يمتنون اختبارا جنسيا
قبل الزواج ، قائلا :
« بالواقع يظهر التحقيق (المذكور) انه في اغلب الحالات (اي
حالات حصول علاقة جنسية قبل الزواج) يجد المرء نفسه امام
علاقات احادية ومستمرة نسبيا » ، اي امام « نمط اتحاد يقلد
الزواج » .

Cité par Aimé Savard : Couple et Mariage dans le
Monde moderne, p. 8.

هكذا فان تقييم الحب لدى شباب البلدان المصنعة يدفعهم ،
رغم مواقفهم الرفضية ، الى تحبذ الزواج ، مع انتقادهم لبعض
مظاهره الراهنة ، لا بل الى اصفاء طابع مماثل للزواج حتى على
العلاقات الجنسية التي يقيمونها قبله .
انهم بهذا يؤكدون الصلة العميقة الكامنة بين الحب والزواج ،
تلك الصلة التي تؤكدتها ايضا ، من جهتها ، دراسة مالىنوفسكي
لشعب كانت حضارته على نقىض المجتمع الاوروبى المصنع . فقد
بين هذا الباحث كيف ان الحب ، عند سكان جزر تروبريان ، من
الدوافع الهامة التي تحددو بشريكين ، يساكنان احدهما الآخر
جنسيا ، الى الارتباط بروابط الزواج غير القابلة للانحلال .

B. Malinowski : La Vie sexuelle des sauvages du
Nord-Ouest de la Mélanésie, pp. 70-73.

١٦٢ — راجع :

André Alsteens : Dialogue et Sexualité, p. 134, Ed.
Casterman, Feuilles Familiales, Tournai, 1969.

Abel Jeannière : Anthropologie sexuelle, pp. 172-174.

Ernest Ell : De l'Enfant à l'Adulte, pp. 16-17.

وتوضح اوديت تيبو الفرق بين الزواج وبين معاشرة بلا زواج
مستمرة ، فتقول ان تلك المعاشرة تفترض امكانية التراجع ، تحفظ
خط الرجعة ، مما يحول دون كلية العطاء وبالتالي يعارض ، منذ
الاساس ، قيام رباط متين . بالعكس ، فان الالتزام الكلي تجاه
الآخر ، امام الناس ، وبالنسبة للمؤمنين امام الله ، يتوافق مع تلك
الحاجة الى المطلق في المكان والزمان التي هي في صميم كل حب
صادق » . راجع :

Odette Thibault : Le Couple, aujourd'hui, pp. 128-129.

ويقول الدكتور اندره مورالي — دانينوس :
« ... الزواج وحده هو البرهان المتعذر دحضه ، العميق

والنهائي بالظاهر ، على ان شخصا ما قد اريد وقبل من الآخر .
بما ان كل انسان يحمل في ذاته الجرح غير المنحل الذي سببه له
ما احسه من رفض الوالدة له (وهو الشعور الذي يلزم انفصال
الوليد التدريجي عن الأم ليصبح كائنا مستقلا) ، لذا فان الزواج
يظهر للعقل الباطن بمثابة الميناء الهاديء على طريق الحياة القاحلة
أحيانا » .

Dr. André Morali-Daninos : Evolution des mœurs
sexuelles, p. 157, Casterman, 1972.

١٦٣ — راجع :

Marc Oraison : Le Célibat, pp. 17-19, p. 25, pp. 27-28.

تقول المرشدة الزوجية مرغريت لامبير :

« عندما يتشكل بنيان حب حقيقي ، ياتي وقت لا بد للفرح فيه
ان ينفجر (...) فالثنائي لا يسهه ان يستمر في اخفاء سعادته .
يشعر بحاجة الى الاعلام بها . هنا يمكن على الأرجح اصل الاحتفال
الذي يحيط بزواج جديد في كل المناطق والحضارات .
« بعض الشباب ، اليوم ، يرفضون روح الاحتفال هذا . وهذا
يعود على الأرجح الى التشويه الذي الحق به ، اذ جعل منه مجموعة
واجبات مفرغة من معناها ، مستثمرة تجاريا ، مقولبة بموجب نماذج
يستعبد لها الناس تقريبا ، وقد فقد منها كل هاجس التعبير
الشخصي وحصرت ضمن تقاليد جامده (...) » .
« ان المشاركة في الفرح تليق باتساع الكيان الذي يحققه الحب .
وهنا نلتقي بمعنى الزواج ، شرط ان ننفض عنه ، هو ايضا ، الغبار
الذي جمده » .

Marguerite Lambert : Amour vécu. Journal d'une conseillère conjugale, pp. 64-65, Resma, 1973.

راجع ايضا :

Marc Oraison : Pour une éducation morale dynamique, p. 103, Mame-Fayard, 1971.

١٦٤ — يقول اوسفالت كوله :

« كثيرا ما تسمع العبارة : الزواج مقبرة الحب . الا ان المرء ،
اذا قام بتحقيق صغير ، يلاحظ ان الذين يتلفظون بهذه الجملة
كانوا دائما حفاري قبر حبيبهم » .

Oswalt Kolle : Expérience de l'amour moderne, p. 103.

١٦٥ — تبين اوديت تيبو ان الزوج couple انما يقدم اوفر
حظ لتحول الحب النرجسي والاستيلاني الى حب معطائي .

Odette Thibault : Le Couple, aujourd'hui, p. 75.

وتصف مرغريت لامبير خبرة الزواج بقولها :

« انه تدرب بالمعنى الكامل للكلمة . انه الاكتشاف البطيء

والشاق للآخر من حيث هو آخر ، وللذات تجاه الآخر ، ولجنسين لا يشعران ولا يتفاعلان بالطريقة نفسها » .

Marguerite Lambert : *Amour vécu*, p. 68.

١٦٦ — يقول الدكتور برنار مولدورف :

« في الحب تجربة نرجسية أصلية : ألا وهي ان يكون الحب عبارة عن حب الفرد لنفسه ، من خلال الآخر ، بفضل الآخر ، بفعل وجود الآخر . هي ان يفتش المرء في الآخر عن انعكاس صورته الذاتية ، كما تشهد تلك الظاهرة ألا وهي انه في كثير من الحالات العصابية ، يدفع المرء شعوره بالنقص الى ان ينظر باستمرار الى ذاته في مرآة ، كأنه يشاء من وراء ذلك ان يتيقن من وجوده » .

Dr. Bernard Muldworf : *Le Métier de père*, p. 167.

١٦٧ — في المسرحية التي وضعها الشاعر اللبناني الكبير جورج شحاده باللغة الفرنسية ، « قصة فاسكو » ، يرينا الكاتب بطلته مرغريت تفتش عن مجهول حلمت به فوقعت في حبه . في الطريق ، تستغرق في تأملاتها ، وقد بقيت وحيدة قرب قلب مصير ، فيديل ، وطبل . تقول :

« انني وحيدة ، مع فيديل وطبل ... وحيدة مع نفسي (...)
وانا لا اعرف وجه حبي (...) » .

« ان اللواتي يعتقدن انني جننت لجسري وراء ظل ... ما الذي تعانقته عندما يكون المحبوب الى جانبهن ؟ اليس هو حلم حبهن ؟ فما الذي تملكه اكثر مني ؟ انني وحيدة مع طبل وفيدل ... » .

Georges Schéhadé : *Histoire de Vasco*, 4ème tableau, scène 5, pp. 148-149, Ed. Gallimard, Paris, 1956.

١٦٨ — تقول اوديت تيبو :

« ... من ابسط شروط احترام الآخر ان يقبل من حيث هو آخر » ، اي ليس مختلفا عن الذات تحديدا وحسب ، بل مختلفا عما كنا ننتظر ان يكون » .

Odette Thibault : *Le Couple, aujourd'hui*, p. 60.

وتضيف ان القدرة على الاضطلاع بالآخر على حقيقته انما هي من علامات التوازن العاطفي . وتوضح انه ينبغي ليس فقط ان نقبل الآخر دفعة واحدة ، بل ان « نختاره » من جديد كلما تطور مع الزمن وبتأثير الحياة المشتركة . راجع :

Odette Thibault : *op. cit.*, pp. 74-75.

راجع ايضا :

Ernest Ell : *De l'Enfant à l'Adulte*, p. 187.

١٦٩ — راجع :

Denis de Rougemont : L'Amour et l'Occident, p. 241, coll. «10-18», Union générale d'éditions, Paris, 1962.

Ignace Lepp : Psychanalyse de l'Amour, pp. 198-199.
١٧ - راجع :

Ignace Lepp : op. cit., p. 257, p. 128, pp. 238-240, p. 301, note 5 du livre VI.

Les Lettres d'amour de François et d'Antoinette, p. 59, Les Editions Ouvrières, Paris, 1967.

١٧١ - راجع :

Molière : Le Misanthrope; acte II, scène 4.

١٧٢ - راجع :

André Gide : Les Faux-Monnayeurs, p. 205, Gallimard, Paris, 1963.

تقول اوديت تيبو :

« ان ظاهرة التكرار تضعف اثر الافضل وتجعل الاسوا اقل احتمالا » . راجع :

Odette Thibault : op., cit., p. 49.

راجع ايضا :

Oswalt Kolle : Expérience de l'amour moderne, pp. 101-102.

١٧٣ - راجع :

Louise Despert : Enfants du divorce, pp. 211-212.

Louis Millet : L'Aggressivité, p. 61.

١٧٤ - راجع :

Louise Despert : op. cit., p. 212.

١٧٥ - راجع :

Ernest Ell : De l'Enfant à l'Adulte, p. 187.

١٧٦ - تقول اوديت تيبو :

« ان جلاء النظر عامل لا يستغنى عنه من اجل دوام الحب (...) (اذ) لا يمكن ان يبني حب حقيقي ، وبالتالي دائم ، على الوهم . ولكن رؤية الاشياء كما هي ، والآخر كما هو ، والذات في عيني الآخر ، هذا لا يعني « ان الامور حسنة كما هي » وان على الآخر « ان يقبل الاشياء هكذا او ان يرفضها » . انما يعني قبول الواقع كقاعدة انطلاق ، مع رجاء و ارادة تحسينه » .

Odette Thibault : Le Couple, aujourd'hui, p. 43.

١٧٧ - من هنا تبرز ، كما يوضح ارنست ال ، من جهة ضرورة اختيار شخصي حقيقي للشريك ، ومن جهة ثانية افساح فترة للحب لكي ينضج من خلالها قبل ان يؤدي الى الزواج . راجع :

Ernest Ell : op. cit., pp. 187-188.

١٧٨ - راجع :

Oswalt Kolle : Expérience de l'amour moderne, p. 103.

١٧٩ — راجع :

Ernest Ell : op. cit., p. 186, p. 242, p. 260.

١٨٠ — في كتاب وضعه فريق من المرشدين الزوجيين الاميركيين ، يوضحون ان قبول الفوارق الاساسية ، على الصعيد الفردي والجنسي ، شرط من شروط نجاح الزواج ، وهو يتطلب نضجا عاطفيا . راجع :

Bannister et als : Problèmes du mariage, p. 42, PUF, 1959.

ويقول المحلل النفسي جورج موكو :

« ان انسجام الزوج couple يتطلب قبول الآخر في اختلافه بعد التجرد من الخوف من هذا الآخر » .

Georges Mauco : Les Célibataires, pp. 35-36.

١٨١ — يقول الدكتور اندره مورالي — دانيوس :

« ... عندما يصل القرينان الى اتصال لا حد له ، فان احدهما دوما هو « اقوى » من الآخر ، اكثر اعتبارا او علما او ديناميكية او اهمية . والخطر الكبير ، في هذه الحالة ، هو ان يبتلع الاقوى الآخر ويخفيه في ذاته بعملية شبه هضمية . اما نتيجة هذا الابتلاع فهي اختفاء الآخر من حيث هو شخص مستقل وكامل وجدير بالحب » .

Dr. André Morali-Daninos : Evolution des mœurs sexuelles, p. 136.

وتقول اوديت تيبو في مقال لها :

« لا يجب الخلط بين القرب والاختلاط . ونود ان ندخل هنا مفهوما قد اهلل بافراط مع انه اساسي . الا وهو مفهوم المسافة المثلى distance optimale يمكن تحديدها على انها المسافة التي ينبغي مراعاتها بين الكائنات كئلا يشعر بحضور الآخر وكأنه تدخل وعدوان فيثير ردود فعل دفاع وعدوان (...) » .
« تكوين زوج لا يقوم بتخلي المرء عن فرديته الذاتية ولا بتضحيتها برقع كاملة من شخصه ليدخل في ذات قالب الآخر ، مما قد يؤخذ على هذا الآخر فيما بعد (...) ان غ. و ن. اونايل (في كتابهما « الزواج المنفتح ») يعارضان الزوج الموحد «réducteur» بالزوج المتآزر «synergique» ، حيث تغتني وتتفق شخصية كل واحد بفضل الآخر (...) » .

« مجمل الكلام ، ان على كل زوج ان يفتش عن توازنه في جدلية التباعد والتقارب ، الالتحام والانفراد . فالزوج ، مع انه مؤسس على نوع من الارتباط المتبادل بين الطرفين ، يجب ان يكون اجتماع شخصين حرين ومستقلين » . راجع :

Odette Thibault : Le couple en danger de «fusionite»
(Hebdo-T.C., No. 1530, 1 novembre 1973, p. 22).

راجع ايضا :

Dr. Charles Odier : L'Angoisse et la Pensée magique,
pp. 188-189, Delachaux et Niestlé, 1966.

Dr. André Berge : L'Enfant au caractère difficile.
p. 144.

Ernest Ell : De l'Enfant à l'Adulte, p. 114.

١٨٢ — راجع :

Jean Lacroix : L'Echec, p. 48, P.U.F., Paris, 1969.

١٨٣ — راجع :

Odette Thibault : Le couple, cette équation à deux
inconnues, in Témoignage Chrétien, No. 1364, 27 Août
1970, p. 19.

تقول ايضا اوديت تيبو :

« أن الصراع ، وهو ظاهرة انسانية وجودية ، سوف يكون
ابدا قاعدة الزوج وعنصرا ضروريا لحياته ونموه . فإذا كان الغلو
في الصراع يقود أحيانا الى القطيعة ، فإن غياب الصراع يعني
الموت » . راجع :

Odette Thibault : Le Couple, aujourd'hui, pp. 20-21.

وفي موضع آخر تقول :

« يجب ان تكون (للشريكين) شجاعة قبول بعض المجابهات
(غير العنيفة) التي من شأنها ان تكون مصدر تقدم وان تساعد
على تكيف متبادل افضل — الا اذا ارادا ان يعيشا حياتين متوازيتين،
تحديدا لن تلتقيا ابدا ! » .

Odette Thibault : op. cit., p. 44.

وايضا:

« أن السيطرة على العدوانية لا تعني كبحها او كبتها . انما
تقوم خاصة على استخدامها في خط بناء » .
من هنا تنطلق الكاتبة لتبين انه يمكن استخدام الصراع داخل
الزوج من اجل التقدم . وتستشهد بدراسة قام بها اخصائيان
نفسيان اميركيان ، غ. واخ وب. وايدن . فقد اختارا خمسين
زوجا ودرسوها بقصد تحديد « الزوج المثالي » ، فأتضح لهما « أن
الزوجين الحقيقيين الوحيديين (في هذه المجموعة) كانا اللذين
يتناقش افرادهما ويعتبران مفهوم الصراع طبيعيا كمفهوم الغذاء » .
وتضيف الكاتبة :

« يجب ان نرى علاقات الزوج على انها صراع مثمر ، على حد
تعبير هنري ميلر » . راجع :

Odette Thibault : op. cit., p. 57, pp. 77-78.

أما المرشدة الزوجية رولاند دوبون ، فقد كتبت ، مستشهدة بدورها بدراسة واخ ووايدن (المنشورة بالفرنسية تحت عنوان « العدو الحميم ») قائلة :

« على الصعيد الزوجي ... بدأوا يدركون ان « المشاجرات لا بد منها بين شريكين راشدين » (واخ ووايدن : العدو الحميم) . لا بل اكتشفوا ، اكثر من ذلك ، ان المشاجرات اذا « أحسن توجيهها » وتلقها مصالحات ، قادرة ان تساعد على انهاء اللفة العميقة . ان هذا المفهوم يسمح بنزع طابع التهويل عن كثير من الصراعات التي يمكن ان تكون ، اذا نظرنا اليها من هذه الزاوية ، مفيدة للزواج couples ... » .

Rolande Dupont : Le Conseil conjugal et familial, pp. 47-48, Casterman, 1972.

وقد كتبت انغريد تروبيش ، زوجة القسيس فالتر تروبيش ، الى فتاة افريقية استشارتها بصدد علاقتها بالشباب الذي تحبه ، قائلة :

« الاختلاف في وجهات النظر ليس امرا صالحا فحسب ، بل انه ضروري . ان زوجي يتردد احيانا في تزويج شخصين لم يختلفا البنية » .

فالتر تروبيش : احببت فتاة ، ص ١١٨ ، دار منشورات النفير ، بيروت ، ١٩٧٣ .
١٨٤ — راجع :

Dr. Jacques Sarano : Connaissance de soi, Connaissance d'autrui, p. 137, Ed. du Centurion, Paris, 1967.
١٨٥ — راجع :

Ernest Ell : De l'Enfant à l'Adulte, pp. 190-194.

١٨٦ — يقول فالتر تروبيش :

« ان اتحاد الرجل والمرأة في جسد واحد له معنى عميق في ذاته بصرف النظر عن الاولاد » .

فالتر تروبيش : المرجع نفسه ، ص ٣٤ .
١٨٧ — راجع :

Paul Evdokimov : op. cit., p. 167.

تقول اوديت تيبو :

« اذا كان المرء يعيش جنسه بشكل منشرح ، فالرغبة في الطفل بديهية عنده (...) اذا كان الخصب سبب الحب ، على الصعيد البيولوجي ، فهو يصبح ، على الصعيد النفسي ، نتيجته ، هكذا تنعكس روابط السببية » .

Odette Thibault : Le Couple, aujourd'hui, pp. 105-106.

وتستشهد الكاتبة بهذه الكلمات لهنري ميلر :

« ينبغي للطفل أن يكون ثمرة الروح ، ثمرة الحب ، قبل أن يكون ثمرة الجسد الذي ليس سوى وسيلة لانجابه » .
كما انها توضح أهمية الرغبة بالطفل منذ قبل ولادته وتبين
المأساة التي يعاني منها الولد غير المرغوب فيه . راجع :
Odette Thibault : op. cit., p. 108.

راجع ايضا :

Ernest Ell : De l'Enfant à l'Adulte, p. 262.

١٨٨ — يقول أ.س. نايل :

« ... أن ولد والدين لا يحب احدهما الآخر له حظ قليل بأن
ينمو بشكل سليم ، لأن العادة الشاملة عند هذا النمط من الوالدين
هي أن يحملوا الولد نتيجة حرمانهم » .

A.S. Neill : Libres enfants de Summerhill, p. 264, Mas-
péro, 1973.

وتقول جاكلين برجرية :

« ... أن العلاقة بالطفل تشوه اذا لم يستطع الرجل والمرأة
في الزوج ان يحب احدهما الآخر » .

Jacqueline Bergeret : Suite pour Eve. La Femme et
sa psychanalyse, p. 142, Le Centurion, 1973.

١٨٩ — راجع :

Marc Oraison : Le Mystère humain de la sexualité,
p. 133.

١٩٠ — تقول الاخصائية النفسية بياتريس ماريو — كليرانس

في كتابها « نفسية الاجهات » :

« بما انهما (الزوجين) يحبان احدهما الآخر ، سيحبان الطفل ،
الذي هو بالنسبة لكل منهما انعكاس الآخر . وبما ان العلاقات
البشرية جدلية دائمة ، فالحركة العكسية تقوي ايضا روابط
الزوج . اذ انه في الطفل تتلاقى الاهتمامات نفسها ، والقلق نفسه ،
والحنان نفسه ، انه المكان الذي يلتقي فيه الوالدان اذا ضل الطريق
لبرهة » . راجع :

Béatrice Marbeau-Cleirens : Psychologie des mères,
pp. 65-66, Editions Universitaires, 1967.

وعن العلاقات المتبادلة بين الحب الزوجي والحب الامومي عند
المرأة ، راجع :

B. Marbeau-Cleirens : op. cit., pp. 47-48.

— ١٩١

cité par Mariane Roland Michel : Attendre un enfant,
p. 54, Ed. Casterman, Tournai, 1969.

راجع ايضا :

id, ibid, pp. 162-163.

هذا صحيح بالنسبة للرجل ايضا كما يبين المحلل النفسي ،
الدكتور برنار مولدورف ، في كتابه « مهنة الابوة » :
« منذ اللحظة التي يعيش فيها رجل امرأة ، ويحب هذه المرأة ،
يتمنى ان يكون له طفل صادر عن هذا الحب . ان عاطفة الابوة
تولد على ذات صعيد حب الرجل لزوجته » .

Dr. Bernard Muldworf : Le Métier de père, p. 16.

١٩٢ — راجع :

André et Hélène Isnard : On pourrait tellement mieux
s'aimer, pp. 140-141, Ed. André Isnard, Lyon, 1972.

١٩٣ — راجع :

Antoine de Saint-Exupéry : Terre des Hommes, pp.
234-235, «Le livre de poche», 1959.

Henry Tavoillot : Une expérience d'éducation sexuelle,
p. 184.

١٩٤ — في روايتها « الغرفة الحمراء » ، تصور لنا فرنسواز
ماله — جوريس كيف ان هيلين ، بطلة الرواية ، اذ وقعت ، مغلوبة
على امرها ، في حب جان ، شعرت بشفقة تستيقظ فيها تجاه
البؤساء ، لم يكن لها عهد بها البتة فيما قبل :

« لم اكن اريد ، لم اكن اريد ان ادخلها في حبي ، كنت اريد
ان اغلق على قلبي حول جان ، حوله وحده ، وأن اترك كل باقي
العالم خارجا . ولكن هل كان هذا الامر ممكنا ؟ الا يفتح كل حب
حقيقي ثغرة يدخل منها ، دائما وابدا ، مزيد من الحب ؟ » .

Françoise Mallet-Joris : La Chambre rouge, p. 275,
Ed. «J'ai lu», Paris, 1972.

١٩٥ — يقول ادمون بربوتان ان على الاسرة « ان تشع الى
ابعد من حدودها الذاتية ، باستقبال الغير في فرح المنزل ، بالتزام
الزوجين في المجتمع البشري ... » . ويضيف قائلا :

« ... عندما تكون (الاسرة) حاصلة على نعمة الحب ،

فكيف لها ، تجاه كل هذه النداءات ، هذه الشدائد ،

هذا النقص في الحب ،

كيف لها ان تحتفظ بهذه النعمة لنفسها ؟

الا يكون ذلك ضيقا ، انطواء على الذات ،

انانية لا واعية ، تهديدا لحب الاسرة نفسه ؟

ان الحب يقود الى العطاء .

ويغتذي من هذا العطاء » .

Edmond Barbotin : Croire, pp. 147-148, Desclée, Pa-
ris, 1971.

ويقول الكاتب الفرنسي جاك ده بوربون — بوسيه :

« ما هو حقا معاد للمجتمع ، انما هو الانطواء النرجسي على

الذات . ولكن الحب وحده هو بالضبط ما يستطيع ان يحطم السور الذي ينزوي الفرد داخله عمدا ، وعندما اقول ذلك اتحدث عن امر عشته .

« ولكن هناك ما هو اكثر من ذلك بكثير . ان الحب المطلق (بهذه العبارة يشير الكاتب الى الحب الانساني المكتمل) يمنح قوة داخلية تسلح المرء للعمل (. . .) عندما يتحقق التوازن العاطفي بشكل كامل ، يحس الرجل والمرأة بأنهما حران ومتفرغان لاية مهمة كانت . وبالعكس ، كم رأيت من مهن سياسية عظيمة تنهدم بفعل اختلال عاطفي دائم ! ان الحياة الحميمة المنسجمة تسمح للمرء بأن يقوم بعمل اجتماعي فعال » .

Jacques de Bourbon-Busset : Radioscopie du bonheur, p. 83, in Oui au bonheur, Semaine des Intellectuels Catholiques 1970, Desclée de Brouwer, 1970.

واليكم بعض الشواهد عن خصب الحب في الميادين التي تتعدى الاسرة .

ابدا بشاهد ادبي لا بد وانه يستلهم واقع الحياة . في رواية سهيل ادريس ، « اصابعنا التي تحترق » ، تستعيد الهام راضي تذكرا رحلة قامت بها مع سامي الى مصر اثر زواجهما الذي كرس الحب الذي جمع بينهما ، فنقول :

« لقد سألتك يومذاك ، للمرة الاولى ، عما اذا كنت تحب الاولاد ، فكان جوابك انهم سيكونون فرحتك الدائمة . وبعد ان تحدثنا مليا في الامر ، صمت هنيهة لتقول :

— اما اذا لم نرزق اولادا ، فسنظل نعتبر « الفكر الحر » (مجلة سامي) ابنتنا وقررة عيننا . وسنظل نعنى بها حتى تترعرع وتنمو وتملأ الدنيا .

وكان طبيعيا يا سامي ان اعاهد نفسي يومذاك ان احافظ معك على « الفكر الحر » كما كنت سأحافظ على اولادي » .

سهيل ادريس : اصابعنا التي تحترق ، ص ١٨٥ ، منشورات دار الآداب ، بيروت ، ١٩٦٧ .

وقد كتبت آن فيليب في مذكرات مؤثرة روت فيها ذكريات الحياة المشتركة القصيرة التي عاشتها مع زوجها المحلل جيرار فيليب قبل ان يختطفه الموت وهو لا يزال في شرح الشباب ، قائلة :

« طيلة سنتين توقعنا انه سيتاح لنا ان نبني انطلاقا من حبنا . ان نبني اطفالا ، مهنة ، صداقات ، منازل ، وربما ان نساعد على بناء عالم افضل . وها ان زمن التحقيق قد اقبل . واذا بنا مهندسان منذهلان » .

Anne Philipe : Le Temps d'un soupir, p. 29, «Le Li-

vre de poche», 1970.

ومن باب اشباع الحب الزوجي خارج دائرة الأسرة ، يذكر المفكر الارثوذكسي الفرنسي المعاصر ، اوليفيه كليمان ، الدور الذي يمكن ان يلعبه الزوج الذي يؤلفه الكاهن المتزوج مع زوجته . فقد كتب متحدثا عن زوجة الكاهن :

« انها تمارس خدمة حقيقية تحول دون انغلاق حنانها وامومتها على انانية عائلية بل توسعها بحيث يتخذان شكل مقدمة وتضحية ... ان البعض من افضل الكهنة الذين صادفتهم كانوا قد اصبحوا كهنة في سن النضج بتأثير زوجتهم . وكانت هذه ، بتواضع خلاق ، تجعل من منزلهم مكانا يشعر فيه كل واحد بأنه مرحب به دون تضجر ، مكانا تجري فيه الحياة وتتكاثر ... » .

Olivier Clément : Dialogues avec le patriarche Athénagoras, p. 169, Fayard, Paris, 1969.

ان انفتاح الزواج ، على المنوال الذي فكرناه ، بالاضافة الى انه يحافظ على اصالة الحب ، يمنح هذا الاخير حظا اوفر بأن يدوم ، لانه يجنبه التورط في الروتين ويحميه من قيام روابط خانقة من الامتلاك المتبادل . يقول الطبيب النفسي الدكتور لاندرى ان مستقبل الزواج مرتبط « الى حد كبير بمكانيات انفتاح العائلة النووية (اي المؤلفة من الزوجين واولادهما) » . « باتصالات مع رجال ونساء غير القرين » ، « بقبول واقع حاجة كل كائن بشري الى لقاءات متنوعة » . يقر لاندرى ان انفتاحا كهذا يتضمن « اخطار تفكك لا يستهان بها » ، ولكنه يوضح ان هذا التفكك موجود الى حد بعيد في الاوضاع الراهنة وراء واجهة خداعة من الاتحاد الظاهري . يقول لاندرى : « قد يحدث في المستقبل عدد اكبر من حالات فسخ الزواج الاحادي . ولكن عدد حالات الطلاق الحاصلة حاليا لا تعطي فكرة صحيحة عن درجة متانة الزواج الاحادي ، اذ كم من الاسر هي مفككة في نمط وجودها قبل ان تفسخ حقوقيا ؟ » .

راجع :

Dr. Marc Landry : La Famille en devenir, p. 25, in «Le Groupe familial», No. 61, octobre 1973.

راجع ايضا :

Odette Thibault : Le Couple, aujourd'hui, pp. 46-47.

Les Lettres d'amour de François et d'Antoinette, pp. 239-241.

١٩٦ — راجع :

Louise Despert : Enfants du divorce, pp. 9, 111.

لقد وضع العالم الاجتماعي الاميركي و.ج. غود Goode لائحة تثبت ارتفاع نسبة الطلاق في البلاد المصنعة من ١٩٠٠ الى

١٩٦٠ ، نثبتها فيما يلي (تشير الأرقام الى عدد حالات الطلاق بالنسبة لكل ألف زواج) :

١٩٦٠	١٩٠٠	البلاد
(١٩٥٩) ٢٥٩٠	٧٣٣	الولايات المتحدة
٨٨٧	١٧٦	المانيا
٦٩٥	٢٢ (١٩١٠)	انكلترا وبلاد الوائلس
٧٠٤	١١٩	بلجيكا
(١٩٥٨) ٨٨٥	١٢٦ (١٩٠٥ - ١٩٠١)	النرويج
١٨٦١	٣٠٠ (١٩١٠ - ١٩٠١)	الدانيمارك
(١٩٥٩) ١٧٤٦	١٢٩	اسوج
(١٩٥٩) ٨٢٤	٢٦١	فرنسا
(١٩٥٨) ٥٧٧	٢١٥ (١٩١٠)	هولندا

راجع :

Aimé Savard : Couple et Mariage dans le Monde moderne, p. 8, I.C.I., No. 411, 1 juillet 1972.

هذا الازدياد يلاحظ ايضا في بلد نام كلبنان . راجع :

Claire Gebeyli : 1305 cas de divorce en 1971 : Les mariages libanais «cassent» de plus en plus (L'Orient-Le Jour, Vie moderne, Culture, Jeunes, du 8 au 14 avril 1972, pp. 8-9).

Mounir Chamoun : Problèmes de la famille au Liban, pp. 34-35.

الا ان فشل الزواج لا يتجلى في حالات الطلاق وحسب ، انما في الحالات الاكثر انتشارا بكثير التي يحتجب فيها التفسخ الفعلي وراء استثمار المؤسسة الظاهري .

يقول ارنست ال بهذا المعنى :

« ... كثيرون يفشلون ، ليس فقط الذين يطلقون ، ولكن غيرهم ممن يستمرون في تحمل زواج افرغ تدريجيا من معناه » .

Ernest Ell : De l'Enfant à l'Adulte, p. 19, p. 256.

- ويبدو ان نسبة هذا المظهر من الفشل الزوجي مرتفعة للغاية . تقول اوديت نيبو في احد مقالاتها ، مشيرة الى وضع البلاد الاوروبية المصنعة :

« اذا كانت نسبة حالات الطلاق قليلة الارتفاع (١٠ الى ١٥ ٪) ، فان نسبة الزيجات الناجحة فعلا هي اضعف منها (حوالي ١٠ ٪ حسب بعض التحقيقات) » .

Odette Thibault : La famille en mutation. Faut-il contester la monogamie ?, p. 13, Hebdo-T.C., No. 1439, 3 février 1972.

وفي مقالة اخرى ، تقول الكاتبة نفسها :

« بموجب تحقيق قام به الـ IFOP ، فبعد سنة زواج ،
يصرح ٧٠٪ من الرجال و ٧٨٪ من النساء انهم خائبون او تعساء ،
اما بعد سنتين . فتبلغ هذه النسب على التوالي ٨٠ و ٨٥ ٪ ، وبعد
ثلاث سنين ٨٩ و ٩٠ ٪ . هذا الفشل لا يؤدي عامة الى الطلاق
الذي تبقى نسبته ضعيفة (١٠ الى ٢٠ ٪ في اوروبا) بل الى خلاف
مقيم ، مضر جدا ليس فقط بالنسبة للزوجين بل للأولاد ايضا » .

Odette Thibault : L'Orientation nuptiale. La science
au service du couple, Hebdo-T.C., No. 1503, 26 avril 1973,
p. 11.

هذه الظاهرة المؤسفة : يجدها الاخصائي النفسي الدكتور منير
شمعون منتشرة في الأسر اللبنانية ايضا . يقول : « الزوج الوالدي
متوتر اكثر منه مفكك ، ويعيش عامة في لامبالاة متبادلة . هذا
الخلاف الخفي يهدم فرح العيش الخ... » . ويضيف : « ان خبرتنا
العبادية تسمح لنا بالقول ان الأزواج الأكثر انسجاما في الظاهر
يعيش كل يوم مآسي ممزقة » . راجع :

Mounir Chamoun : Problèmes de la famille au Liban,
pp. 34-35, in Travaux et Jours, No. 25, octobre-décembre
1967.

ان لازدياد حالات التفكك الظاهر وانتشار حالات التفكك
الباطني اسبابا عديدة ليس من شأننا ان نتوسع في ايضاحها هنا ،
عائدة الى حركة التطور الاجتماعي والتكنولوجي التي تضعف سلطة
التقاليد ، وتوجد حاجات واغراءات جديدة ، وتضعف الطاقة على
احتمال الألم ، وتعزل العائلة النووية عن العشيرة التي كانت
تحضنها وتساندها ، وتجعل الافراد اكثر تمايزا وتعقيدا مما يجعل
أزواجهم اعسر ، الخ... .

ان كثرة حالات فشل الزواج ، من فشل معلن وفشل خفي ،
يقود الكثيرين في عصرنا الى التصدي لمؤسسة الزواج نفسها .
ولكننا راينا الى جانب ذلك ، اقبالا كبيرا على الزواج عند شباب
البلاد المصنعة عينها التي ينتشر فيها هذا الموقف الرافض . فكيف
التوفيق بين هاتين الظاهرتين . الحق يقال ان معظم حالات
الرفض تتناول الزواج من حيث هو مؤسسة اجتماعية وليس من
حيث ارادة الاتحاد والمشاركة الدائمة التي تتجلى فيه .

يقول الباحث الاجتماعي لويس روسيل :

« ان عنصري الزواج هما العلاقات الشخصية المتبادلة من
جهة ، والمؤسسة من جهة اخرى . فالعنصر الثاني يبدو اليوم
منتقص القيمة جدا في نظر الشباب » .

Louis Roussel, cité par Aimé Savard : Couple et Ma-
riage dans le monde moderne, p. 8.

ويضيف اييه سافار ، معلقا على هذه الملاحظة :
« صحيح ان الزواج معترض عليه ، خاصة بين المثقفين الشباب ، ولكن هذا الاعتراض يتناوله من حيث تكريسه الاجتماعي وليس ، او نادرا جدا ، من حيث هو ارادة تكوين زوج ، من حيث هو سعي الى اتحاد انتقائي ، وحصري ، ودائم » .

Aimé Savard : op. cit., p. 9.

لا بل يمكن القول ان حدة الانتقادات الموجهة حاليا الى الزواج وكثرة حالات التفكك التي تحصل فيه ، تعودان الى حسد ما الى الآمال الكبيرة المعقودة على المؤسسة والتي كثيرا ما يخيبها الواقع الزوجي . وبعبارة اخرى لا يرغب الزواج بهذه الحدة الا لان الانسان المعاصر يطلب منه الشيء الكثير . يقول اييه سافار :
« كثير من الزوجات فاشلة . ولكن وراء حالات الفشل هذه ، وراء الرفض ، نجد الامل العظيم الذي يضعه معاصروننا في الزوج . في عالم مديني urbain قاس ، مجزا ، متوتر ، تسوده المنافسة — وبعبارة واحدة في عالم تضيق فيه الشخصية — يبدو الزوج لكل رجال ونساء اليوم تقريبا على أنه الملجأ الرئيسي ، ان لم يكن الوحيد ، لشعورهم ، والمصدر الاساسي لسعادتهم . الارجح انه لم يوجد زمان قط انتظر فيه من الزوج ما ينتظر منه اليوم » .
وايضا :

« في مؤتمر مؤسسة علوم الزواج والعائلة في زوريخ ، في تشرين الاول ١٩٧١ ، صرح اخصائي الماني ، م. غريفر بما يلي :
« اذا كان الناس يلجأون الى الطلاق ، سواء تزوجوا بعد ذلك او لم يتزوجوا ، فليس مرد ذلك الى عدم تقديرهم للزواج . بالعكس ذلك يعود الى اعتبارهم الكبير له والى الاهمية الفائقة التي تتخذها الحياة المشتركة في نظرهم » .

Aimé Savard : op. cit., p. 9.

هذه الازدواجية في موقف معاصرينا من الزواج تقتضي ايضاح امر بالغ الاهمية ، الا وهو ان الزواج يستمد قيمته الاساسية ، لا من كونه مؤسسة اجتماعية تفرضها التقاليد ويحميها القانون ، بل من كونه الاطار الاجتماعي الذي يعاش فيه الحب اذا اكتملت ابعاده ، وان هذا الاطار ليس له مفعولا سحريا انما هو المكان الذي يمارس فيه الشريكان مهمة طويلة ودقيقة ومحفوفة بالمخاطر ومهددة ابدا بالفشل ، ألا وهي مهمة تحقيق الحب وانمائه . يقول ارنست ال :

« ان الزواج يمثل فقط الوضع الملائم مبدئيا ، اكثر من اي وضع آخر ، للاتحاد الكامل ، ولكنه يظهر ايضا كمهمة ، يفشل فيها كثير من المتزوجين » .

Ernest Ell : De l'Enfant à l'Adulte, p. 208.

لذا ينبغي عدم التأكيد على المؤسسة وكأنها غاية بحد ذاتها بل تسخيرها للحب الذي وجدت في الاساس لخدمته . تقول اوديت تيبو بهذا المعنى :

« يجب أن تكون المؤسسة في خدمة الحب ، وليس الحب في خدمة المؤسسة » .

Odette Thibault : Le Couple, aujourd'hui, p. 133.

ان هذا الموقف يتلاقى مع الهواجس المعاصرة ، كما عبر عنها مثلا العالم الاجتماعي لوسيان ميرونير ، احد المساهمين في التحقيق الذي اجري بادارة الدكتور بيار سيمون حول سلوك الفرنسيين الجنسي والذي نشرت نتائجه في تشرين الثاني ١٩٧٢ . يقول ميرونير في خلاصة لدراسة تصنيفية قام بها في اطار هذا التحقيق : « ان ما تقرره التحاليل التصنيفية ينقض الاطروحة الشائعة عن انحلال متزايد في الاخلاق . انما يعبر عن التغيرات التي طرات على القيم الجنسية . هناك نزعة الى استبدال الزواج ، من حيث هو عقد خلقي ، بالزوج ، من حيث هو تعهد متبادل مؤسس على المشاركة الجنسية والعاطفية . ان الانسجام الجنسي ومساواة الرجل والمرأة في الحق باللذة اصبحا عنصرين اساسيين لتكوين الزوج وديمومته » .

Lucien Mironer : Formations, Attitudes et Comportements sexuels des Français, p. 72, in «Le Groupe familial», No. 61, octobre 1973.

خلاصة الكلام ، كما تقول اوديت تيبو . « ان حالات فشمل الزواج ، وحتى مفسده ، تعود الى عناصر متعددة يرتبط كثير منها بمفاهيم خاطئة اكثر مما يعود الى عيب في طبيعة الزواج نفسها . لذا فانها تدعو لا الى رفضه بحد ذاته بل الى تحسينه باتجاه شيء اكثر انسانية . لانه ينبغي ان يجعل الزواج للانسان اكثر مما يجعل الانسان للزواج » .

Odette Thibault : Le Couple, aujourd'hui, p. 134.

راجع ايضا :

Joachim Bodamer : Sexualité, Amour et Névrose, p. 9.

Marc Oraison : Pour une éducation morale dynamique, p. 102.

Georges Mauco : Les Célibataires, pp. 186-187, p. 196.

١٩٧ — راجع :

Pierre Dufoyer : La vie conjugale au fil des jours, pp. 17-23, Ed. Casterman, Tournai, 1960.

١٩٨ — راجع :

André Alsteens : Dialogue et Sexualité, pp. 134-136.

١٩٩ — يقول أرنست ال :

« لقد فقد الزواج الحديث الدعائم التي كان يستند إليها في الماضي . لذا فإنه يحتاج ، ليبقى حيا ، الى مشاركة شخصية عميقة : لذا فإن اختيار الشريك المناسب — الشريك الحقيقي — أصبح أكثر أهمية بما لا يقاس مما كان في الماضي » .

Ernest Ell : De l'Enfant à l'Adulte, p. 172.

٢٠٠ — راجع :

Oswalt Kolle : Ton mari, cet inconnu, pp. 38-41.

٢٠١ — راجع :

Odette Thibault : La morale catholique est-elle humaine ? in «Témoignage Chrétien», No. 1361, 6 Août 1970, p. 21.

في كتابها القيم « الزوج اليوم » ، تنتقد اوديت تيبو بعض الاسس الزائفة التي قد يبنى عليها الزواج . فمثلا تنتقد فهم الزواج على انه « اجازة مزاجية » . كما تنتقد المفهوم النفمي للزوج ، كأن يكون ، في نظر المرأة ، وسيلة للاستقرار ، وفي نظر الزوج ، واسطة ليحصل في منزله على كل الخدمات ، يقدمها له شخص واحد مجانا . وتتصدى ايضا لمفهوم الزواج « كتعويض » عن خطأ ارتكب ، وتقول بأن حظ تلك الزوجات الاضطرابية بالنجاح هو بنسبة ١ على ١٦ . كما انها تنتقد توهم الزواج على انه نهاية العزلة والارضاء الكامل . وتنتهي الى القول :

« ان الدافع الحقيقي والصالح الوحيد للزواج ينبغي ان يكون الرغبة في العيش مع شخص يحبه المرء حقيقة ، وفي القيام معه بعمل مشترك يدوم » . راجع :

Odette Thibault : Le Couple, aujourd'hui, pp. 61-66, p. 117.

ويقول اوسفالت كوله من جهته :

« ... ان امرأة لم تتزوج الا لتشعر انها تخلصت من كل هم مادي يلقى بها ان تفكر مليا وتتساءل اذا لم يكن زواجها في آخر المطاف ، وتحت ظواهر الشرعية ، بغاء معلن ، على صعيد راق . انها لكلمة قاسية تناقض الاخلاق العادية ، ولكنها كلمة تجابه الوضع بصراحة ... » .

Oswalt Kolle : Ta femme, cette inconnue, pp. 220-221.

٢٠٢ — تذكر جوزيت ميليز ملاحظة ابداءها رجل « مصر على العزوبة » :

« ما يقلق في الحياة المشتركة هو ان كل واحد معرض لان ينسى بسرعة كلية المراعاة التي كان يعتقد ان من واجبه ابداءها للآخر في زمن اللقاءات الاولى » .

Josette Méléze : Les Fragilités du couple, p. 15, Ed. Centurion-Grasset, 1972.

٢٠٣ — يقول الدكتور مارك لاندي :
« الاعتقاد بأن المؤسسة تكفي وحدها أنها هو اعتقاد بأن
للزواج قدرة سحرية على حماية الزوج » .

Dr. Marc Landry : La Famille en devenir, p. 24.

٢٠٤ — تستشهد أوديت تيبو بهذه الكلمات لهنري ميلر :
« الحب هو ما يقارب بين كائنين . أنها ما يبقيهما معا ، فلا
يكثران بأن يتساءلا عن ماهيته . وكأنهما يتركان للحب ان يدبر
أمره بنفسه . وهو نادرا ما يقصر في هذا المجال ، أما الحل الذي
يعتمده فهو بأن يموت حتف أنه . أن معظم الزوجات مبنية على
قبر : قبر الحب » .

Henri Miller : Le Monde du sexe, cité par Odette Thibault : Le Couple, aujourd'hui, p. 51.

وتضيف الكاتبة :
« ... الزواج ليس نهاية ولا راحة ، انه بدء مغامرة كبرى ! »
Odette Thibault : op. cit., p. 61.

٢٠٥ — تقول أوديت تيبو :
« ... ان احادية الزواج الاصيلة ... انها هي امانة للقرين
وليس للمؤسسة » .

Odette Thibault : L'Orientation nuptiale. La science
au service du couple, Hebdo-T.C., No. 1503, 26 avril 1973,
p. 11.

٢٠٦ — راجع :
André Alsteens : Dialogue et Sexualité, pp. 149-150.
تقول أوديت تيبو انه يمكن للقانون ان يحمي الزوج
من النزوات التي هي ، على حدتها ، غير متعلقة وعابرة . انها لا
يمكن اتخاذه ذريعة للاستغناء عن الجهود الضرورية لانماء قوى
التماسك الداخلية في الزوج . راجع :

Odette Thibault : Le Couple, aujourd'hui, pp. 44-46.

٢٠٧ — راجع :
François Duykaerts : op. cit., p. 305.
٢٠٨ — يقول أرنست ال انه ينبغي « اعطاء مضمون انساني
مكتمل ، مضمون وحدة نفسية وجسدية ، للاتحاد الشرعي ...
الذي ارتبطنا به » .

Ernest Eli : De l'Enfant à l'Adulte, p. 19.

٢٠٩ — يقول أرنست ال :
« يظهر الاختبار ان الزوج يتعرض دوما لخطر خسارة وحدته
الداخلية ان لم ينجح اتحاد الاجساد في المشاركة الجنسية او اذا

تلاشى هذا الاتحاد » .

E. Ell : op. cit., p. 31.

ويضيف :

« ان الحب الزوجي ، بأرقى اشكاله ، هو حب ممنوح من خلال الجسد ومقبول في الجسد ... » .

E. Ell : op. cit., p. 88.

وايضا :

« ... في الزواج ، يمكن ان يستخدم التفنن في الاتحاد الجنسي كحافز لتعميق مستمر للحب : ان هذه الغاية لا تبرر هذا التفنن وحسب بل انها تجعل منه واقعا مقدسا » .

E. Ell : op. cit., p. 248.

٢١٠ — راجع :

François Duykaerts : op. cit., p. 310.

يحذر المحللون النفسيون في هذا الصدد من ظاهرة تجدد الفصم بين الحواس والقلب التي كثيرا ما تحصل بعد سني الزواج الاولى ، وحيانا منذ تكريس الاتحاد رسميا ، وذلك لان الشريك الزوجي يكتسب ، بالنسبة للعقل الباطن ، صفة بديل والدي ، مما يوقظ التحريم الاوديبى الاول . راجع مثلا :

Gilbert Tordjman : Clefs pour la Sexologie, pp. 201-202.

٢١١ — راجع :

André Alsteens : Dialogue et Sexualité, pp. 114-117.

Ignace Lepp : op. cit., p. 241.

Oswalt Kolle : Expérience de l'amour moderne, pp. 107-108, p. 244, pp. 340-341, p. 371.

٢١٢ — راجع :

Dr. Jean-G. Lemaire : Les conflits conjugaux, p. 68.

يقول ارنست ال :

« عوض ان يكون قمة و خلاصة الانجذاب الحبي ، كثيرا ما يصبح العمل الجنسي واقعا يوميا لا روح فيه ... » .

Ernest Ell : De l'Enfant à l'Adulte, p. 250.

ويبين الدكتور توردجمان ان العلاقة الجنسية ، مع انها « نواة ممتازة للاتصال » . لا يسعها ان « تؤسس ، لوحدها ، المشاركة الزوجية » . ذلك انها « لا تتخذ معناها الا بالاضافة الى مجموعة الخبرة المعاشة » . وبذلك فانها تشكل . كما يقول الكاتب ، « آلة التسجيل » الاكثر حساسية للمناخ الزوجي . ويضيف : « عندما ينقطع الاتصال الزوجي ، يتحول الجماع الى مجرد استمئاء متزامن ، الى مونولوج لا فائدة منه يتعب ويحرم الرفيق » . عند ذاك تحتمي الزوجة من زوجها برفضها اللذة الجنسية ، اما الرجل ، فان

تضايق امراته او اشمزازها او لامبالاتها تقوده في النهاية الى العجز الجنسي . راجع :

G. Tordjman : Clefs pour la Sexologie, pp. 270-271.

وتقول اوديت تيبو :

« ان الرباط الجنسي ، ان لم يدرج في مجموعة ، سوف ينحل بفعل العادة او السام (...) ان انخفاض الانجذاب الجسدي (...) شبه محتوم ان لم يتح له دفق جديد نابع من أصعده اخرى » .
وايضا :

« ان الحنان ، والانفتاح الى الآخر ، وتعبير المودة والانتباه ، والاكتشاف الذي لا ينتهي لاهتمامات او ملذات مشتركة ، انما هي مجالات يتجدد فيها دفق الرغبة » .

هكذا ينبغي للاتفاق الجنسي ان يندمج في اتفاق نفسي لكي يدوم . وبالعكس فان النزاعات على الصعيد النفسي قد تؤدي الى انهدامه :

« ان الخلاف يقود حتى الى اخماد الرغبة (...) فالزوج يحقد على زوجه ، يحترس منه ، ينفلق دونه . ولكن نجاح الجماع يتطلب عفوية وثقة » . راجع :

Odette Thibault : Le Couple, aujourd'hui, pp. 35-36, p. 50.

راجع ايضا :

Oswalt Kolle : Expérience de l'amour moderne, pp. 348-351.

٢١٣ — يقول الدكتور اندره برج ان الزواج ينبغي ان يكون « كسبا واغراء دائمين ومتبادلين بين الزوجين في صميم حياتهما المشتركة » .

Dr. André Berge : Le Métier de parent, pp. 47-48.

٢١٤ — راجع :

Odette Thibault : op. cit., pp. 39-42.

٢١٥ — راجع :

François Duykaerts : op. cit., pp. 303-322.

٢١٦ — راجع :

Dr. André Berge : L'Education sexuelle et affective, p. 179.

Oswalt Kolle : Ton mari, cet inconnu, pp. 160-167.

في رواية مورافيا ، « الحب الزوجي » ، يقول المتحدث متكلماً عن هواه لزوجته :

« لأول مرة ، احسست بأنني السيد ، ذلك الشعور الذي يطبقه الرجال احيانا ، بغير تمييز ، على العلاقات الزوجية ، قائلين

« امرأتي » كما يقولون « بيتي » ، « كلبتي » ، « سيارتي » ... » .
Alberto Moravia : L'Amour conjugal, p. 35, «Folio»,
1972.

راجع ايضا :

Dr. André Berge : La Sexualité aujourd'hui, p. 143.

٢١٧ — راجع :

Jean-Yves Calvez : La Pensée de Karl Marx, p. 277,
Edition revue et abrégée, Seuil, Paris, 1970.

لقد كتب الفيلسوف الشخصاني المسيحي عمانوئيل مونييه ،

سنة ١٩٣٣ ، في معرض وصفه « للبورجوازي » :

« اسمعوه يقول : امرأتي ، سيارتي ، أراضي ، تشعرون جيدا
ان ما يقيم له الحساب ليس المرأة او السيارة أو الأراضي ، انما
العبارة البديهة المشيرة الى الملكية » .

وايضا :

« انه يجهز لنفسه اثاثا من الاشياء الجميلة ، اي الاشياء
المتعة ، ومن بينها زوجته ... » .

Cité in Mounier, L'Homme et son Message, p. 131, in
«Planète + Plus», août 1970.

راجع ايضا :

Alexandre Soljénitsyne : Le Pavillon des cancéreux
pp. 534-544, Le Livre de poche, 1971.

٢١٨ — بصدد وضع الدونية التي تعاني منه النساء ، كتبت

اوديت تيبو في احدى مقالاتها :

« مع ان القضية سياسية بمعنى ان وضع المرأة ليس سوى
احد الاشكال المتعددة لاستغلال الانسان للانسان ، الا انني اخشى
كثيرا بأن لا يكون تغيير البنى الشرط الكافي للتطوير في هذا المجال ،
مع انه شرط ضروري له . انه لواقع اختباري ، بأنه ، رغم
الثورات ، لم تحقق المساواة الحقيقية بين الرجل والمرأة في اي من
الانظمة الاشتراكية التي اقيمت . ان تسلط الرجل على المرأة هو
من اقدم واشمل اشكال التسلط ، انه سبق قيام الرأسمالية وهو
باق بعد الغائها . هذا ما يبينه بوضوح تحليل شايسلا روبروثام
(شايسلا روبروثام) : النسوية والثورة » .

Odette Thibault : La «Femme-Alibi» doit disparaître
(Hebdo-T.C., No. 1556, 2 mai 1974, p. 36).

٢١٩ — راجع :

J.-Y. Calvez : op. cit., pp. 187-190, pp. 313-319.

٢٢٠ — تقول اوديت تيبو :

« لا يصبح العمل الجنسي حقا لمجرد قيام الزواج ، والا كان

نوعاً من الاغتصاب الشرعي — ولكن الا يزال كذلك ، بالنسبة للعديد من النساء اللواتي يتحملنه ، وفي ذهن كثير من الأزواج ... دون ان يعوا ذلك البتة ؟ اما يكون العمل الجنسي مشاركة ، مبادلة ، أو لا يجب ان يكون ... » .

Odette Thibault : Le Couple, aujourd'hui, p. 62.

— ٢٢١

cité in «Ecclésia», No. 258, septembre 1970, p. 6.

٢٢٢ — يقول المحلل النفسي الألماني هورست — ابرهارد ريشتر ، المتخصص في اضطرابات العلاقات العائلية :
« ان الحياة المشتركة المؤولة كعقد ملكية (...) كانت ولا تزال كثيراً ما تنفصل الى تعلقات تكافلية وثيقة بانفراط يتوصل فيها الخوف من الانفصال والمراقبة الاحتياطية للأمانة المتبادلة الى خلق العواطف الايجابية » .

Horst-Eberhard Richter : Psychanalyse de la famille, p. 38, Mercure de France, Paris, 1971.

٢٢٣ — لقد كتبت جورج ساند :

« الزواج دون الحب ، إنما هو اشغال شاقة مؤبدة ... » .

George Sand : Lettre à son fils, citée par André Maurois : Lélia ou la Vie de George Sand, p. 443, Ed. Rencontre, Lausanne.

هذا ما يبرر الاعتراضات الموجهة اليوم الى تصلب المؤسسة الزوجية ، ويوضح ضرورة تليينها . راجع :

Georges Mauco : Les Célibataires, pp. 200-201.

هنا تظهر حكمة وانسانية موقف الكنيسة الارثوذكسية التي تقبل بالطلاق رغم جعلها اياه صعب المنال وابداء تحفظاتها تجاهه . وقد اوضح المفكر الارثوذكسي المعاصر بول افدوكيموف هذا الموقف في كتابه « سر الحب » حيث يقول :

« ... اذا كان الحب هو مادة السر (اي سر الزواج) — ويصرح يوستينيانوس ان الزواج لا يكون حقيقياً الا بالحب وحده — فتبادل الوعد ليس سوى تعبير عن الحضور الفعلي للحب (..) ليس الطلاق سوى تقرير غياب الحب ، تلاشي ، انهدامه ، وبالتالي مجرد اعلان لا وجود الزواج . انه شبيه بالحرمان الجنسي ، اي انه ليس عقاباً ، بل تقرير انفصال سبق فحصل (...) .

« تقرر الكنيسة اذا انه توجد حالات تتفرغ فيها الحياة الزوجية من مادتها السرية وتصبح مجرد تدنيس مستمر للقدسيات قد يقود الى هلاك النفس . ان لا انفساخية الرباط قد تضطر المرء الى الكذب . بالمحافظة على الخير العام ، يقتل الخير الشخصي . من اجل الحفاظ على المظاهر الاجتماعية ، على وقار رب العائلة ، اقام

المجتمع البغاء بالاشتراك مع الدولة . فالبغاء يدفع نفقات احادية الزواج القائمة . ربما لهذا السبب يقول الانجيل تلك الكلمة الغامضة جدا عن البغايا اللواتي يسبقننا على طريق الملكوت . . . « ان لا انفساخية الرباط (بحد ذاتها) لا تهم الحب البتة . السؤال يطرح حين لم يعد من شيء يحافظ عليه ، اذ ان الرباط الذي اعلن في البدء على انه غير قابل للانفساخ قد سبق وفسخ ، وليس للشرعية ما يمكنها من ان تقوم بمقام النعمة ، لا يمكنها ان تشفي او تبعث او تقول : « انهض وامش » . راجع :

Paul Evdokimov : Sacrement de l'amour, pp. 262-264, Editions de l'Epi, Paris, 1962.

٢٢٤ — راجع :

Paul-André Lesort : Les Reins et les Cœurs, pp. 168-169, Ed. Plon, Paris, 1955.

Les Lettres d'amour de François et d'Antoinette, pp. 48-49.

٢٢٥ — راجع :

Dr. André Berge : L'Education sexuelle et affective, pp. 179-182.

٢٢٦ — راجع :

Denis de Rougemont : L'Amour et l'Occident, p. 261.

٢٢٧ — راجع :

André Alsteens : Dialogue et Sexualité, pp. 168-176, 331, 334.

٢٢٨ — راجع :

Dr. André Berge : op. cit., pp. 179-181.

يقول مارك اوريزون بالمعنى نفسه ان الزواج « يتطلب . . . من كل واحد نوعا من الالتزام الديناميكي المتجدد كل يوم » . راجع :

Marc Oraison : L'Harmonie du couple humain, p. 52.

ويوضح ارنيست ال ان الزواج « فتح مستمر » ، توتر دائم نحو تحقيق الحب ، وان من هنا ايضا تنبع ضرورة احاديثه وديمومته . يقول : « لن ننهي ابدا من بناء هذا الأثر الذي هو الزواج » . ومن هنا ايضا ، يقول الكاتب ، ضرورة اعادة نظر مستمرة في الوضع الزوجي . راجع :

Ernest Ell : De l'Enfant à l'Adulte, pp. 228-229, p. 256.

وتقول اوديت تيبو :

« ينبغي خاصة اعتبار الحب فتحا دائما (. . .) انه انتصار يومي على الموت . من اجل انقاذ الحب من الاخمد ، يجب ان يغذي كالنار ، لانه نار » . راجع :

Odette Thibault : Le Couple, aujourd'hui, pp. 50-51.

تقول جوزيت ميليز :

« ان الذي يعرف ، او التي تعرف ان لا شيء ابدا يعتبر مكتسبا بصورة كلية ونهائية ، بل ان كل شيء يجب ان يكسب مجددا كل يوم ، هذا يبقى يقظا ولا يدع نفسه يفاجأ . انه يشبه العذارى العاقلات في الكتاب اللواتي يغذين بانتظام مصباحهن الزيتي ليحبطن خطط الليل ، واللواتي يبقين دوما مستعدات لاستقبال المحبوب (...) ان الانتباه الرصين المستمر يجنب الاستنزاف والعادة والتراخي » .

وايضا :

« ليس الزواج ابدا الا ما يشاؤه الزوجان . فاذا كان يحمل في ذاته امكانية هدم الزوج ، فهو يحمل ايضا امكانية تألقه وتحقيقه واكتماله . يعود لكل واحد ولكل واحدة امر اختيار المعنى الذي يريد ان يضيفه عليه » .

Josette Méléze : Les Fragilités du couple, pp. 13-14, p. 184.

وقد كتب رينه سيمون :

« ... ليس المهم مجرد الرجوع الى وعد اعطي (مع ان الوعد ليس امرا لا طائل له) او الى الضغط الموضوعي الذي يمارسه القانون ، بل الابداعية المستمرة لحب لا يكرر الوعد المنشئ للزوج والاسرة الا ليعيد ابتكاره من جديد ويعطيه مضمونا يتغير مع مراحل الحياة » .

René Simon : La Famille se meurt..., in Hebdo-T.C., No. 1463, 20 juillet 1972, p. 16.